إلى أن نلتقي..

البَحث عَن ابتسامة، وَسط تلال الجَهامة

أنور اليـاسين

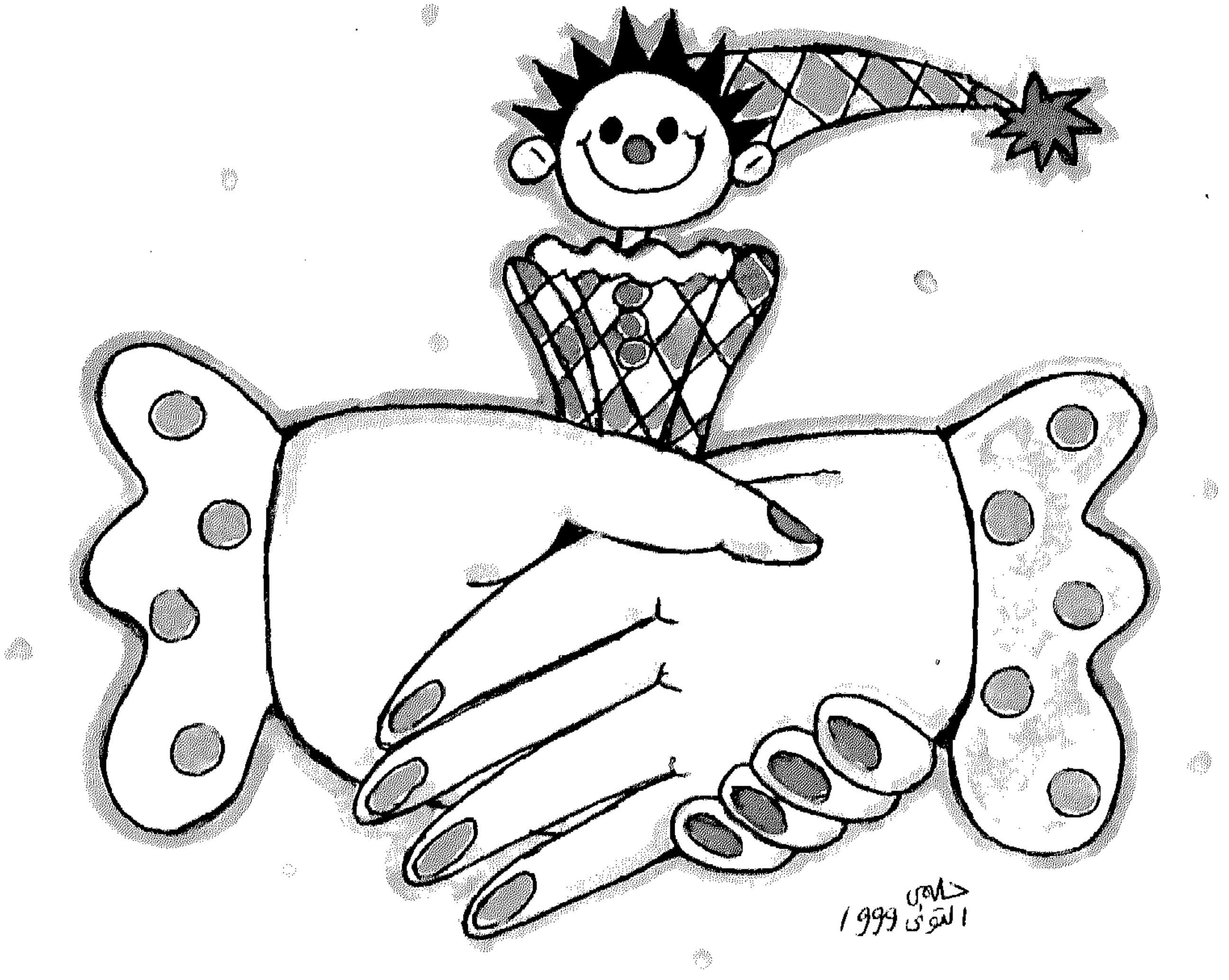

دار الشروق

إلى أن نلتقي..

البحث عن ابتسامة، وسط تلال الجهامة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص ب ٣٣ البانوراما - تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أنور اليـاسين

إلى أن نلتقي..

البَحث عَن ابتسامة، وَسط تلال الجَهامة

دار الشروق

كتابة باسمة

الكتابة أنواع. هناك كتابة جهمة، لا تتردد في إظهار وجهها العابس، ربما لأن موضوعها يفرض على كاتبها طابع العبوس، والنتائج التي تشير إليها لا تبعث إلا على الجهامة. وهناك كتابة جادة، تتسم بالرزانة والتروي، ورزانتها كترويها مرتبطة بطبيعة المعلومات التي تنقلها، أو رؤية عالم الكاتب التي توصلها. وهناك الكتابة التي تتخلى عن الجهامة والرزانة، عامدة، متعمدة، كما لو كانت تدرك أن القارئ قد مَلَّ من كثرة الجهامة والجدِّية الرزينة في المقالات والدراسات التي يطالعها صباح مساء، وكما لو كانت هذه الكتابة قد وعَتْ الدرس القديم الذي يقول أجِمُّوا النَّفْسَ ببعض الباطل حتى تقوى على الحق.

وكثيرة أنواع هذه الكتابة التي تتعمد إجمام النفس، وتكتب للعقول بعض ما يريحها من عناء التأمل العميق والاستغراق المضني في التفكير. وليس «الباطل» الذي تلجأ إليه أنواع هذه الكتابة هو الباطل بمعناه السلبى، وإنما بمعناه الإيجابى، أقصد إلى المعنى الذي ليس قرين الكذب، أو الزيف، أو التضليل، أو الضلالة، بل المعنى الذي يقترن بالراحة والاستجمام، والذى يرجع إلى بعض ما يدل عليه الجذر اللغوى للتبطل الذي يعنى التفرغ من العمل، أو الإجازة، أو العطلة، أو الاستراحة، باختصار: كل ما يفعله الإنسان عندما ينال منه إجهاد العمل، ويصيبه التعب، بما يدفعه إلى طلب الراحة التي هي أشبه

باستراحة المحارب. وأتصور أن ذلك هو المراد من الحديث: «أجِمُّوا النَّفْسَ ببعض الباطل حتى تقوى على الحق» فدلالة الباطل في الحديث تنصرف إلى كل ما يبعث في النفس التي تستريح حبورا وبهجة، ويجدد لها نشاطها وحيويتها، ويعيد إليها بسمتها ونضارتها، فتشعر بالتجدد والقوة والعافية، ومن ثم تستعيد كل ما فقدته من نشاطها، وتقبل على ما هي فيه، مواصلة رحلتها في دروب المعرفة التي تسعى إلى الارتقاء بالإنسان من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية.

وإلى شيء من ذلك، ذهب علماء النقد في التراث العربي وأهل البلاغة في تبريرهم شعر الغزل وشعر الفكاهة في إبداعنا العربي، من حيث إن شعر الغزل باطل يراد به الحق، وإجمام يراد به قوة النفس، أما شعر الفكاهة فنظروا إليه على أنه هزل يراد به الجد. ولم ينظروا إلى ما يشبه هذين النوعين نظرة التحريم أو التكفير، خصوصا في البيئات التي ظلت تعمر بالتسامح ورحابة الفهم الديني ورجاحة الوعي الاجتماعى، بل نظروا إليها نظرة التقدير لما تؤديه للنفس من فائدة، ولما تبعثه في قلوب المستمعين وعقولهم من حضور ونشاط. وما أكثر الحكايات والمأثورات التي تُروي في تراثنا العربى حول هذا الجانب، والتى تبدأ كلها وتنتهي بتأكيد ضرورة التنوع والتعدد في الكتابة، وتأكيد أهمية ما وصفوه بالباطل على سبيل التسامح والتملح والمجاز في الوقت نفسه.

وليس من الضرورى أن نوافق هؤلاء القدامى على ما فعلوا، ولا حتى متابعتهم في تبرير الفن على أنه باطل يراد به الحق، وإنما التقاط الدلالة الأساسية في كلامهم، وهى الدلالة التي تؤكد أن الكتابة لا ينبغي أن تكون كلها وحيدة الصفة، وحيدة الاتجاه، أحادية المنزع والمبنى، فالكتابة هي الحياة، وتعددها هو الوجه الآخر من تعدد أوجه الحياة،

وتنوعها ينبع من التنوع الذي تنبني عليه الحياة نفسها في كل أحوالها وأطوارها وتجلياتها، وإذا كانت الحياة مزيجا من الجد والهزل، الخير والشر، الفرح والحزن، فالكتابة فيها ما في الحياة من تنوع وتعدد. وتزيد على ذلك رهافة الشعور الإنسانى، ودقة الفكرة، وعمق الإحساس، واتساع مدى الرؤية، والتقاط النكتة الدالة التي تضيء العقل بالفهم والشفة بالبسمة.

وأتصور أن ذلك هو السبب الذي جعل المجلات والجرائد المعاصرة تحرص على ألا تنغلق صفحاتها في اتجاه واحد، أو تقتصر على فن من دون غيره، بل إن هذه المجلات والجرائد تضيف إلى أبوابها الجهمة، من مواد الأبواب خفيفة الظل ما يبعث القارئ على الابتسام، ويخفف عنه عناء الجهد العقلي الذي تقتضيه البحوث والدراسات والمقالات التي لا تعرف الابتسام. و«مسامرات» القراء مثل «استراحة» الجريدة مثل «استراحة المحارب» مثل «ابتسامة أخيرة» كلها أمثلة لهذا النوع من الإجمام للنفس.

وقد أحسنت مجلة «العربى» صنعا حين أوكلت إلى مدير تحريرها، أنور الياسين، كتابة الصفحة الأخيرة التي اختار لها عنوان «إلى أن نلتقي». وهو عنوان يجذب القارئ إليه بما ينطوي عليه من حميمية ومن علاقة شخصية بالقارئ، علاقة من نوع مختلف عن علاقات هذا القارئ بالمقالات الجهمة الرزينة الوقورة التي يكتبها أمثالى من العابسين. وما تتميز به صفحة أنور الياسين من خفة الظل، ومن تقديم ما يبعث على الابتسام، ومن السخرية الطريفة التي لا تخلو من معان دالة، هي بعض ما جعل هذه الصفحة محببة لدى القراء، وجعل لها حضورا لافتا يشد الانتباه إلى ما في هذه الصفحة من جديد.

وقد أسعدني أنور الياسين عندما أخبرني أنه جمع صفحته الأخيرة «إلى أن نلتقي» في كتاب، فالكتاب يتيح للقارئ أن يقرأ ما سبق أن تناثر في «العربي» ويتيح للقارئ - فضلا عن البسمة التي هي إجمام للنفس - أن يلمح الخيط الذي ينظم حبات العقد المتناثرة في هذه الصفحات، ويكشف عمّا فيها من سمات عصرية. وأهم هذه السمات في تقديري هي الإفادة من شبكة معلومات الإنترنت. إن أنور الياسين في جل هذه الصفحات يكشف عن دينه لشبكة «الإنترنت» التي يستقي منها معلوماته، بل يستقي منها فكاهاته التي تناثرت عبر صفحاته. ولذلك فهي صفحات من نوع جديد، عصري. نوع يؤكد وعي كاتبه بأنه يعيش في عالم أصبح قرية كونية صغيرة بالفعل، ويفيد من الثورة الهائلة التي حدثت في تكنولوجيا الاتصالات التي أصبحت بابا جديدا للمعلومات والمعارف، حتى لمن يريد أن يجم النفس ببعض طرائف الإنترنت حتى تقوى على مصاعبه.

ولكن ليس ذلك وحده الجديد العصري في أوراق أنور الياسين، فهناك غير ذلك ما أتركه لذكاء القارئ كي يعرفه بنفسه، خصوصا بعد أن يستجم بقراءة صفحات هذا الكتاب الطريف، وينتهي منها مدركا أهمية أن نلتقي، أحيانا، كي نستجم الاستجمام المعرفي الحيّ، في هذا النوع من الكتابة الباسمة.

الأستاذ الدكتور

جابر عصفور

موعد في سفينة نوح

يتفق كثيرون على أن الحياة سفينة تبحر في بحر متلاطم الموج، ولكنهم يختلفون حول القبطان، بعضهم يقول إنه أعمى، وبعضهم يقول إنه بعيد النظر، وفي الحالتين فإن ركاب السفينة الذين هم نحن يتسابقون إلى شكر القبطان كلما لامست أقدامهم بر الأمان، بانتظار رحيل جديد.

وزاوية «إلى أن نلتقي» في مجلة «العربي»، كتبت والأقدام ثابتة فوق برّ الأمان، لم تقصد تجاهل المخاطر المحيطة بنا، أفراداً ومجتمعات، ولم تحاول التحديق مطولاً في عيني القبطان لتكتشف فيما إذا كان أعمى؛ فتعبر عن يأسها وقلقها، أو بعيد النظر؛ فتدعو إلى إغماض العينين والاستسلام إلى أحلام تتجدد بين اليقظة والمنام، وإنما حاولت جاهدة أن تلتقط التفاصيل في كل مرفأ رست السفينة عنده، وأن تكشف عن متعة الرحيل ما بين ماض هدأت أمواجه، فارتحنا إلى الغوص فيه والتأمل في كنوزه، وما بين مستقبل يقدم لنا ما يفوق الخيال إذا استطعنا تجاوز محن الموج وغوايات اللجة، وبين هذا وذاك حاضر يفاجئنا باستمرار ويمنحنا من دون بخل لذة الاكتشاف.

«إلى أن نلتقي» هي رحلة بدأتها مع «العربي» منذ ثماني سنوات، عبرت فيها موانئ كثيرة، توزعت فيها الرؤية مابين خلجان العقل وأعماق القلب، على أمل أن تستمر الرحلة، ونحن دائما على موعد في سفينة نوح.

الصحافة والمرأة

يبدو لي أن ثمة تشابهًا بين الصحافة والمرأة، وهو تشابه يؤرق الكثيرين من الذين يعملون بالصحافة أو الذين يقتربون من المرأة. فالذين يعملون بالصحافة يدركون معنى هذا العشق لهذه المهنة، وعبثية الخلاص منها أو الابتعاد عنها، والذين يقتربون من المرأة يعانون عذاب محاولة الفرار من أسرها، فما أشد عذاب رجل يقترب من امرأة ولا يستطيع الفكاك من أسرها. والصحافة كالمرأة في هذا التزين الجميل للآخر في بيتها شعر وورق متناثر، وألوان وأخبار، وصور وملابس، ولكنها في لحظة تجمع كل هذا وترتبه لتخرج للآخر رائعة ملونة ذات حضور وبهاء. وتمامًا كما أن المرأة تمل زينتها بعد أن يراها الآخرون، تموت الصحيفة أو المجلة بالنسبة للعاملين فيها فور خروجها للقراء، ويبدءون في عمل جديد، لعدد جديد، لمولود جديد.

والتشابه الأكثر قربًا هو تشابه الصبا والكبر، فكلاهما ـ الصحافة والمرأة ـ في صباها فتية، باهرة، لاتحتاج إلى كثير من التجميل أو موارة لآثار الزمن، أو تخفيف للترهل، ولكن مع الزمن تبدأ التساؤلات والجهود، كثير من تخفيف الوزن، كثير من الحفاظ على الرشاقة، بعض من الحيوية.

وهنا يتساءل البعض إذا كانت الصحيفة ناجحة ومستمرة أليس هذا كافيًا لأن نتركها تستمر كما هي؟ في رأيي هذا خطأ حقيقي، فالنجاح لا

يمكن ان يستمر معتمداً على قانون الدفع الذاتي فقط، وكما تشعر المرأة فجأة انها وقعت في براثن الكبر، وأن المحبين ينفضون عنها يومًا بعد يوم، كذلك هي الصحيفة تكتشف انها تفقد قارئًا إثر قارئ، وانها اصبحت عجوزًا ثقيلة الحركة، ثقيلة الظل، منفصلة عن عصرها وزمانها.

ولكن التجديد والتطوير في الصحافة - والذي ينبغي أن يكون مستمراً - هو تجديد محسوب بدقة، لكيلا ينفر القارئ القديم والمنتظم، وفي نفس الوقت يكون من القوة بحيث يكسب قارئًا جديداً.

والصحافة مثلها كمثل الكائن الحي يعيش الصبا والشباب والنضج، ولكنها تقاتل وتبذل الجهد كي لا تقع في بئر الشيخوخة الباردة وما يتبعه من نسيان، فموت الصحيفة ليس جميلاً، ولا نبيلاً، وكم من الصحف مازالت تطل علينا صباح مساء وهي غارقة في بئر الشيخوخة وتنتظر فقط مجرد شهادة إعلان وفاة.

في العلاقة بين الرأس والقدمين

تقول الأسطورة اليونانية إن «جيا» كان ابن الأرض. وكان مخلوقًا ضئيل الحجم ولكنه خارق القوة، وكان قادرًا في كل مرة تلامس قدماه فيها الأرض على أن يصارع أعظم العمالقة ويصرعهم. وفي يوم، اكتشف أحد الخصوم سرّ هذه العلاقة بين «جيا» وأمه الأرض، فتحدّاه للمصارعة، وعندما بدأت المباراة بين الاثنين حمل الخصم «جيا» ورفعه عن الأرض و... خنقه في الفضاء بعيدًا عن حضن أمه (!).

تضيف الأسطورة الحكمة التالية: لا تترك رأسك يغري قدميك بالطيران لأن علاقتك مع أرضك هي سر قوتك. وهذه العلاقة بين الرأس والقدمين هي كلمة السر التي يطلقها مدربو فرق كرة القدم فإذا ما غاب التنسيق بين الطرفين تحولت المباريات إلى فرص ضائعة، وهو ما يبدو أكثر وضوحًا في العلاقة غير المتوازنة بين الإنسان والبيئة، فالقدمان تلتصقان بالأرض، بينما الرأس يستسلم للغواية ولا يترك فرصة إلا ويستغلها لتلويث البيئة، لا هثًا خلف ما يحسبه أحدث الوسائل العصرية لمواجهة الخصوم (!).

مع ذلك، فإن ما أعاد هذه الأسطورة اليونانية إلى الذاكرة ليس كرة القدم، ولا المحافظة على البيئة التي أصبحت اليوم أهم التحديات التي تواجه عالمنا المعاصر، بل حكاية رواها صديق عاد أخيرا من الشرق

الأقصى، بعد أن قام بعمليات «ترميم» لجسده. قال الصديق: هل تصدق.. لقد أعادوا ترميمي باستخدام التمر (الرطب) واليقطين والبطيخ الأصفر والأحمر و... بالخيار، ثم توجوا هذا العلاج بالجزر. قالوا إن ترميم قوتي الجسدية لا يحتاج إلى أكثر من هذا العلاج «المسدس» وبعدها لن يشكو الجسد من أي ضجر.

وتزوج الصديق للمرة الثانية وهو يشعر أنه في ذروة نشاطه (!). ولعل غياب التنسيق بين الرأس والقدمين هو ما دفع صديقي للسفر إلى الشرق الأقصى، بحثا عن تلك النباتات المتوافرة في عالمنا العربي حتى التخمة، ما بين الرأس والقدمين، وتكفى نظرة واحدة نلقيها حولنا لنكتشف أن سر القوة ينبع من أرضنا وليس من أراضى الآخرين.

وتدخل هذه العلاقة بين الرأس والقدمين في باب الأقوال المأثورة إذ يقول أحد الحكماء في وصف أصحاب الثروة، إن هناك نوعين من الأثرياء، الأول يضع أمواله فوق رأسه فتصغر قامته، بينما الثانى يضعها تحت قدميه فيبدو عملاقاً.

أما الخلل الحقيقي في هذه العلاقة ما بين الرأس والقدمين فيبدو واضحا لدى عدد من المتعلمين في الخليج وفي العالم العربى الذين لا يتركون فرصة إلا واستغلوها للفصل بين أقدامنا ورؤوسنا، بحيث لا يعود أمامنا إلا خياران: إما أن نحتفظ بأقدامنا أو برؤوسنا، مع أن واحدنا خرج من بطن أمه دفعة واحدة، رأسه مع قدميه، من دون فصل أو تقسيط، وهم في هذا يقترحون علينا جيلاً جديداً لا يمكن أن يجمع المجد من طرفيه: الرأس والقدمين، فهم يرفعون اليوم راية «الشخصية الخليجية» قياسًا على رايات رفعها سابقًا أصحاب «الشخصية

الفينيقية» و«الشخصية الفرعونية» ثم انهارت، وهم يقولون في تعريف هذه الشخصية الجديدة إنها تختلف عن الشخصية العربية أو الشخصية الإسلامية، إذ إنه للمرة الأولى في التاريخ العربي والإسلامي يدخل عامل «الأوكتان» النفطي ليساهم في خلق نوعية جديدة من ثقافة الإنسان. ورغم احترامنا لخصوصية كل قطر عربي، إلا أن دخول معادلة الأوكتان في بناء الشخصية الخليجية يفتح الباب واسعًا أمام منتجي الفول السوداني أو القطن أو الشمندر، ليحددوا من خلال هذا الإنتاج مواصفات شخصيتهم الوطنية وخصوصيتها.. وهو ما قد ينتهي بنا إلى اعتماد «السوبر ماركت» لتحديد هويتنا الوطنية (١).

ليبق الفرح دائما

يعتقد الإنكليز أن السعادة مستحيلة، ويقولون في تبرير هذا الاعتقاد إن الإنسان ما بين الخامسة عشرة والعشرين يملك الوقت ويملك العافية ولكنه لا يملك المال، وبالتالي فإنه عاجز عن التمتع بالحياة، وكذلك فإن هذا الإنسان ما بين العشرين والستين يمتلك المال ويمتلك العافية ولكنه لا يمتلك الوقت للاستمتاع بالحياة، أما ما بين الستين والثمانين فإن الإنسان يمتلك المال ويمتلك الوقت ولكنه يفتقر إلى العافية، وبالتالي فإنه يبقى عاجزا عن الحصول على السعادة، ومن هنا يعتقد الإنكليز، ربما بسبب مناخ بلادهم الأقرب إلى الكابوس، أن الإنسان يكتب تاريخه بالدمع وليس بالفرح. وربما كان هذا صحيحا لدى بعض الشعوب التي تكتب تاريخها بالمآسي، وتحتفل بذكرى تلك المآسي بطقوس يفيض فيها الألم والبكاء، إلا أن الفرح يبقى نسيج الحياة ونسغها، وهذا الفرح يعتمد على مثلث الوقت والعافية والمال باعتباره قاعدة السعادة، ويضيف إليه الحب بكل أهواله ومشقاته. وفي هذا تقول رواية تحمل عنوان «ليبق فرحي دائما» إن أهالي إحدى القرى الجبلية كانوا يعملون على إنتاج محاصيلهم بشكل جماعي، وبالتالي فقد كان لديهم فائض من الوقت والمال والعافية، ورغم أنهم لجئوا إلى زراعة الأزهار والورد بعد أن فاضت محاصيل الخضار والحبوب لديهم، إلا أن هذا لم يستهلك الفائض من وقتهم، وهنا قرروا أن يقوموا بمساعدة

غزلان جبلهم على ممارسة الحب، وذلك أن الغزلان الذكور كانت تعيش في قمة الجبل بينما تعيش الإناث في سفحه، وفي موسم الحب كانت الغزالة الأنثى تطلق رائحة المسك من جسدها فيكاد الذكر يفقد توازنه ويندفع من قمة الجبل، غير عابئ بالصخور والشعاب، باتجاه الوادي، وكان الكثير من الذكور تفك رقابها وهي تحاول تلبية نداء الحب، ومن هنا فقد نظم الأهالي حملة شعبية كاسحة، أمسكوا خلالها بذكور الغزلان وحملوها إلى الإناث في سفح الجبل، غير أن ما جرى بعد ذلك فاجأهم، إذ إن إناث الغزلان توقفت عن إرسال رائحة المسك التي كانت بمثابة رسائل حب، وهو ما أدى بدوره إلى «برودة» الذكور، فتوقفت عن ممارسة الحب، ولم يعد أمام الأهالي من خيار إلا إعادة الذكور إلى رأس الجبل لتجرب حظوظها في الحب أو ... الموت فرحا.

ولعل في أمثال هذه الرواية ما يفيد بعض المربين وواضعي المناهج المدرسية، الذين يتفننون في تنكيد حياتنا وحياة أطفالنا بالحديث عن شقاء الإنسان وعذاب القبر وأهوال السعير. ويحاولون جهدهم اقتلاع الابتسامة من شفاه أطفالنا باعتبارها من الكبائر، ويجعلون من الوجه الكالح والعابس مثلا أعلى في الدنيا كما في الآخرة، فيمهدون بذلك الدرب أمام حكم الطغاة الذين تقتصر مهمتهم على اقتلاع الفرح من حياة الشعوب، وتعميم «البرودة» في العلاقات الإنسانية بحيث يصبح المواطن الصالح عاجزا حتى عن .. الحب.

الحاخام والتيس (١)

كبير الحاخامات اليهود في مدينة نيويورك الأمريكية عمره ٩١ عاما واسمه مناحيم شنيرسون. أثار هذا الحاخام ضجة ما زالت أصداؤها تتفاعل في أسواق المال، بدءا من نيويورك، وصولا إلى أستراليا، مرورا بلندن، عندما قرر أن يمنح «البركة» لشركة يهودية على وشك الإفلاس، فقفز سعر السهم فيها وخلال أسبوع واحد من ٤ دولارات إلى ١٦ دولارا(١)، قالوا إنها «معجزة» (١).

والقصة، كما نقلتها صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية المتخصصة بقضايا المال والأعمال، تستحق أن نتوقف عندها؛ لنعقد مقارنة سريعة بين حاخام يرى في بناء الاقتصاد اليهودي طريقا إلى الجنة، ورجال دين في عالمنا الإسلامي يعتبرون أن تدمير الاقتصاد الوطني لدولهم هو أقرب طريق إلى الجنة (١).

تقول «وول ستريت» إن شركة «غريت سنترال » يملكها اليهودي الأمريكي «جوزيف غوتنيك» وقد حصلت من الحكومة الأسترالية على حق التنقيب عن الذهب والأحجار الكريمة في منطقة «نابارو» في أستراليا. وخلال أعوام فشلت الشركة في العثور على أية «ثروة» تدفع عنها الإفلاس، إلى أن خرج غوتنيك على الناس بشريط فيديو، يبدو فيه الحاخام الكبير محاطا بمجموعة من الملتحين اليهود بملابسهم

السوداء، وهو يشير بإصبعه إلى منطقة نابارو في أستراليا، ومع الصورة يخرج صوت غوتنيك ليقول: الحاخام باركني، قال إنني، وخلال ٦ أشهر، سوف أصيب نجاحا كبيرا، أي أن هناك ثروة بانتظاري.

واستفاقت أستراليا ومعها بريطانيا وأمريكا يوم ٣ مارس الماضي لتشاهد «المعجزة» وهي أن الشركة ضربت رقما قياسيا في مبيعات الأسهم وتضاعف سعر السهم ٤ مرات. وتعلق الصحيفة «ليست أسعار الأسهم وحدها هي ما يثير الدهشة» لأن «البورصة» تحولت إلى مجموعات من المؤمنين بوقوع المعجزة نتيجة بركة الحاخام (١).

بالطبع يمكن الاستنتاج بسهولة أن الحاخام عندما يتحول إلى سمسار فإن القضية برمتها تدخل في باب النصب والاحتيال، وتعيدنا إلى أيام تسويق «صكوك الغفران» في روما الكاثوليكية. ولكن ما يدعو إلى الدهشة أنه في عصر الاتصالات والتكنولوجيا ومراكز المعلومات، فإن «بركة» رجل دين تكاد تلغي العقل في أسواق المال التي لا تقوم إلا على الأرقام والحسابات والرياضيات، وهو ما يذكرنا بقصة ذلك «التيس». ذكر الماعز. الذي ظهر في بلد عربي وقيل إن حليبه يشفي من العقم ومن العنة ويجعل النساء تلد توائم، فاندفع الناس من كل حدب وصوب، وجاءوا من دول عربية أخرى، ليحلبوا التيس (١)، وضاق صدر محافظ المنطقة فأمر بذبح التيس «قبل أن نشاهد ولادة حزب.. للتيوس».

.. ويبدو أن الحاخام كان أكثر شطارة فهو من أجل إنقاذ الاقتصاد اليهودي.. قرر تحويل التيوس إلى حزب عالمي (١).

تصنيع العباقرة

لم يكن المؤلف الأيرلندي جورج برنارد شو يحمل موقفا «وديا» تجاه النساء، فهو «اقترب» مرة واحدة في حياته من إحدى صديقات والدته، وأقسم بعدها ألا يقاربهن مرة أخرى، وحافظ على ذلك القسم حتى النزع الأخير. لذلك عندما كتبت إليه إحدى الفتيات رسالة تقول فيها إنها جميلة جدا، بل إن جمالها يقترب من الكمال، وهي تريد الزواج منه كي تنجب أطفالاً يحملون جمال أمهم وعبقرية أبيهم، رد برنارد شو على الرسالة متسائلا: «ولكن ماذا يا سيدتي لو أن الأطفال الموعودين جاءوا يحملون جمال أبيهم وعقل أمهم؟» ولم يكن برنارد شو جميلا بأية حال.

ورغم أن هذه الواقعة تبدو أقرب إلى الطرفة، إلا أن صناعة كاملة تقوم في الغرب اليوم وتزعم أنها قادرة على تحقيق حلم الفتاة بإنجاب سلالة من العباقرة لا يعوزها الجمال، ففي أمريكا مثلا، قدمت إحدى الشركات نفسها إلى الزبائن عبر إعلان يقول «هل تريد لأطفالك أن يكونوا من العباقرة؟ إذن لا تتردد في الاتصال بنا، فنحن نزودك بحيوانات الإخصاب لمجموعات من المبدعين والعباقرة في حقول القانون والفن والعلوم الرياضية والطبيعية وكذلك في جميع الألعاب الرياضية، كما نزودك بشهادة منشأ لهذه الحيوانات تبين سيرة أصحابها وإنجازاتهم» وتعرض الشركة في الوقت ذاته على من يتوسم في نفسه العبقرية أن تشتري «اللقاح» منه مقابل مبلغ لا يقل عن ألف دولار للقاح الواحد.

أما في بريطانيا فإن شركة «سيريوس» التي أعلنت عن قيامها الشهر الماضي لا تتورط في مسائل التلقيح الميكانيكي أو العشوائي وتطلب من زبائنها أن يختاروا الشريك المناسب لإنتاج العباقرة الموعودين من بين أعضائها «المثقفين» وقد حددت رسم العضوية بمبلغ ٤٩٥ جنيها إسترلينيا، وخلال الشهر الأول فقط تلقت ما يزيد على ألف طلب للعضوية بين أصحابها قضاة وعلماء نفس ومحاضرون في الجامعات وموسيقيون من الجنسين.. يحلم كل منهم بإنجاب العبقري الموعود.

ومن المعروف أن هناك بنوكا في الغرب تحتفظ باللقاح ضمن خزائن فولاذية محصنة بحيث يصعب على اللصوص السطو عليها (١)، وبالتأكيد فإن زبائن هذه البنوك أو تلك الشركات ليسوا من سلالة برناردشو بل هم أقرب إلى أن يكونوا من سلالة «ماكدونالد» عبقري الهامبرغر أو من سلالة الكابتن ساندرز مخترع دجاج «كنتاكي» إذ إن هؤلاء الزبائن يعتقدون أن العبقرية يمكن أن تصل إلى أولادهم عبر وجبة سريعة لا تحتاج لأكثر من حفنة من الدولارات، وتشكل استثمارا ناجحا للمستقبل، خاصة إذا كان العبقري الطالع هو من نوع مارادونا أو محمد علي كلاي أو مارلون براندو، وكل منهم يحصد الملايين إذا حرك قدمه أو قبضته أو رسم على وجهه تكشيرة «العراب» (١).

ورغم أن محاولة الغرب «تصنيع العباقرة» ما زالت حتى اليوم تدخل في باب تجارة الأوهام، إلا أن شيئا واحدا يبدو مؤكدا وهو أن الذين يقومون بتأسيس هذه الشركات هم فعلا من «العباقرة» القادرين على جمع الأموال عبر تسويق الأوهام. أما الزبائن فلا شك أن أولادهم سوف يملكون ما يكفي من الذكاء لاكتشاف مدى عبقرية آبائهم (١).

ومازال الحب أعمى

اقيمت في بلجيكا أخيرا مسابقة فريدة في نوعها تحت عنوان «قصائد حب». المشتركون في المسابقة زاد عددهم على ٣٠ ألفا. وانتهت المسابقة بفوز «رامبو» الذي استطاع أن يغرد ما يزيد على ٩٠٠ قصيدة حب، خلال مدة قياسية لا تزيد على ساعة واحدة.

و «رامبو» هو نوع من طيور «الكنار» المدربة على التغريد، وينحدر من سلالة «عاشقة» شاركت على مدى المائة عام الماضية في هذه المسابقة السنوية وحصدت لأصحابها جوائز قيمة. ولكن «رامبو» عندما أطل على شاشة التلفزيون باعتباره «العاشق العظيم» لم ينبس ببنت شفة وأبقى منقاره مطبقا وكأنما يحمل فيه صمت القبور، والسبب، كما يقول صاحبه، هو أن هذا العاشق مثل سواه من العشاق، لا يبوح بحبه إلا تحت جنح الظلام، ولا يطلق قصائده إلا في عتمة الليل، ومن هنا فإن المشاركين في المسابقة يضعون طيورهم داخل صناديق خشبية صغيرة تمنع عنها ضوء الشمس وتبيتهم في ظلام دامس يهيئها لاستقبال الوحي وإطلاق قصائد الحب.

وأجداد «رامبو» لم يكونوا في مثل سعادته وحسن حظه رغم فوزهم في كثير من المسابقات، والسبب هو أن المشاركين في المسابقة عندما بدأت في القرن الماضي كانوا «يفقئون» عيون الكنار بإبر محماة، أو يستخدمون سائل «الأمونيا» كي تصاب طيورهم بالعمى المؤبد، وعندئذ كانت قصائد

تلك الطيور العمياء تفيض من قلوب مفعمة بالألم. على عادة العشاق الرومانسيين، ولا تتوقف حناجرهم عن الغناء والتغريد.

المسابقة تعيد التأكيد على أن «الحب أعمى» مع أنني كنت دائما أعتقد بأن هذا المثل الشعبى العالمي هو محض خرافة وجنون. ورغم أن صور وتماثيل إله الحب «كيوبيد» مازالت تملأ ساحات أوربا ومتاحفها، وهو يظهر في صورة طفل مجنح معصوب العينين يطلق سهامه عشوائيا كي يصيب قلوب العشاق ويدميها فتفيض حناجرهم بقصائد الحب، إلا أنني كنت أحسب أن هذه الصورة هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الخيال العلمي، ولكن «رامبو» أفسد علي هذه المعتقدات، فهو وأمثاله، لا يعشقون إلا في الظلام، بحيث تصبح العتمة رديفا للحب، ويصبح الليل مفتاحا للعشق، ليس عند الإنسان وحده بل عند الطيور والحيوانات أيضا، مما يجعل هذه الطقوس العمياء شريعة للكون كله، وقد سمعت أن الأقدمين كانوا يصفون «بيض النعامة» للشفاء من العشق، باعتبار أن طائر النعام لا يبيض إلا مع شروق الشمس، فإذا أكل العاشق نتفا من هذه البيضة «فتح» عينيه وأبصر وشفي من داء العشق الأعمى (!)، أما الدكتور صادق جلال العظم في كتابه عن «الحب العذري» فإنه يرى في «الزواج» من المحبوب أفضل علاج للخلاص من داء العشق، ويبدو أن تجارب كثير من العشاق تؤكد صحة نظرية الدكتور (!) مع استثناءات قليلة يؤكد أصحابها أن العاشق عندما يتزوج من محبوبته لا يفتح عينيه كلتيهما بل يتحول إلى «أعور».

ويبقى المهم في هذا كله أن أوربا كلها وهي تمارس الحب تحت ضوء الشمس لا تملك إلا أن تنتخب «رامبو» صاحب الحب الأعمى.. رمز للعشق.

النائب والناخب و.. «الفيلتر»

فرضت الفلبين على أعضاء البرلمان فيها «لائحة آداب»، ورد فيها عدة وصايا من بينها:

- يمنع على عضو المجلس منعا باتا أن يقوم بالإعلان عن بضاعة محددة والترويج لها، وخاصة السجائر. يمنع عليه ارتياد «علب الليل». وبعد نقاشات ساخنة وافق البرلمان على اللائحة بكل وصاياها.

سبب إقرار اللائحة هو أن أحد النواب ظهر على التلفزيون ليقنع الناخبين أن السيجارة من نوع (...) كلها فيتامينات ولا ضرر منها بل هي على العكس تساهم في تعزيز المسيرة الديمقراطية لأن من يتعاطاها يصبح «طويل النفس» كما أن نوابا آخرين ظهرت صورهم في الصحف الشعبية وهم يقطفون في علب الليل ثمار الديمقراطية.

وبالطبع فإن كثيرين يعتقدون أن لائحة الآداب هذه مجحفة بحق نواب الشعب، لأن حياة النائب الخاصة هي ملك له. ولكن مع «طفرة» الديمقراطية، خاصة في العالم الثالث، فأعتقد أنه لابد من لائحة تمنع ابتذال الحياة البرلمانية، عبر ابتذال بعض ممثليها، لأن المنصب العام، على عكس ما هو شائع، يحد من حرية صاحبه، وما يجوز للناخب لا يجوز دائما للنائب (!)، وهو ما تعرفه الديمقراطيات العريقة، ففي أمريكا مثلا، فإن سان فرنسيسكو تطرح مفارقة طريفة، إذ إن المدينة هي

عرين «الشاذين» جنسيا، ومع ذلك فإنه لم يحدث في تاريخ الكونغرس الأمريكي أن دخل مجلس النواب أو مجلس الشيوخ أي «شاذ» جنسيـ ممثلا للمدينة.

أما في باكستان فقد جاء قرار الحكومة بمنع كل من اقترض من الدولة من دون أن يقوم بتسديد دينه من ترشيح نفسه للانتخابات العامة، وهذه قاعدة ذهبية فهي من ناحية ترد الحياة إلى بعض الديون المعدومة، ومن ناحية ثانية تقطع الطريق على مرشحين ربما يحلمون بأن يسددوا ديونهم بعد فوزهم في الانتخابات، وربما من أموال الحكومة وليس من أموالهم الشخصية. فقرار المنع هو نوع من «الفيلتر» يمنع سارقي مال الشعب من تمثيل الشعب.

وفي الهند لجأ حاكم ولاية بيهار - وهي أفقر الولايات الهندية - إلى طريقة جديدة لاكتساب الناخبين، فقد أعد موكبا يطوف به القرى، ويضم الموكب عشرات الحلاقين وعددا من سيارات الإطفاء وفي كل قرية يتوقف الموكب، حيث يقوم الحلاقون بقص شعور الأطفال الصغار، ثم يتولى رجال الإطفاء: رشهم بالمياه، بينما يعمل عدد من المساعدين على غسلهم بالصابون. وفي النهاية يتركون لكل صبي صابونة واحدة هدية، وللفتاة «توكة» أو ربطة للشعر. الهدف كما يقول الحاكم هو أن تحكم بنظافة، وأن يكون الناخب وأسرته نظيفين.

هنا لا بد من وقفة نعيد خلالها تحديد مفهوم الديمقراطية، فهي بالتأكيد ليست مبنى يحمل لافتة ويمارس السلطة التشريعية بمقدار ما هو سلوك يومي وممارسة واقعية تهدف إلى رفع مستوى الناس اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وحضاريا، فمجلس الأمة أو الشورى هو «رمز لعشرات المؤسسات والجماعات الفاعلة في المجتمع».

ففي المملكة العربية السعودية مثلا، وقبل إنجاز الخطوة الرائدة بالإعلان عن قيام مجلس الشورى واختيار أعضائه، فقد أعلن أن عدد السجلات التجارية الخاصة بالنساء قد ارتفع في العام الماضي إلى ١٠٢٣٣ سجلا تجاريا بزيادة قدرها ٥٣٦١ سجلا على الأعوام الثلاثة الماضية، وهذه القفزة النسائية في القطاع التجاري تتواكب مع نهضة علمية تعم المملكة، مما يجعل من قيام مجلس الشورى تتويجا لنشاطات وعلاقات صحية على أرض الواقع.

ونموذج آخر من البحرين التي صدر فيها أمر أميري في نهاية العام الماضي، يقضي بتشكيل مجلس للشورى يساهم في إدارة شئون البلاد، واستنادا إلى إحصاءات رسمية، فقد بلغ عدد البحرينيين الحاصلين على مؤهل جامعي فأكثر ١١ ألفا و٤٦٣ مواطنا بينهم ٤٧٨١ من الإناث، في حين أنه كان في عام ١٩٥٠ لا يوجد في البحرين غير اثنين فقط من المتخرجين جامعيا، أما في الكويت فإن المسيرة الديمقراطية العريقة مثال يحتذى به.

هذه النماذج تعني أن الديمقراطية تنبع في بلادنا من القاعدة، وتقوم على مؤسسات عصرية وقوى نشطة وفاعلة، ولأنها كذلك فإنها بالتأكيد لا تحتاج إلى وصايا أو لائحة آداب، متمنين أن يقوم المجتمع كله بدور الفيلتر.

أمواتهم وأمواتنا

صفحات الوفيات في الصحف العربية خاصة في «الأهرام»، ليس فيها بالتأكيد ما يبعث على الفرح، أما في الصحف الأجنبية فالأمر يختلف، ونأخذ صحيفة «ذا ويكلي تلغراف» ـ التلغراف الأسبوعية ـ الصادرة في بريطانيا، ونقرأ معا ما يأتي:

• الجنرال ماثيور ريد جوني: توفي في بلدة بطرسبرغ في أمريكا عن عمر يبلغ «٩٨» عاما، كان الجنرال خلال فترة خدمته العسكرية التي تجاوزت ٤٠ عاما حصل على ٣٠ وساما وميدالية، شارك في الحرب العالمية الثانية وفي الحرب الكورية، وتبوأ منصب القائد العام لقوات الحلفاء في أوربا خلفا للرئيس أيزنهاور، ومنصب نائب رئيس هيئة الأركان خلال الحرب الكورية. يقول أحد أنواط الشرف التي حصل عليها «الأبطال يظهرون عند الحاجة إليهم، وفي الحرب العالمية الثانية ظهر ريد جوني».

• ميشال هولارد: توفي في فرنسا عن عمر يبلغ «٩٥» عاما، هولارد كان العميل الفرنسي الذي أنقذ مدينة لندن من الخطة التي وضعها هتلر لقصفها بخمسة آلاف صاروخ بعيد المدى من نوع «V1». هولارد تمكن مع مجموعته من التسلل إلى عدد من القواعد الصاروخية الألمانية المحروسة جيدا، وغامر بحياته كي يستطيع الوصول إلى أدق التفاصيل عن مواقعها، ووضع تقارير حولها كانت واضحة إلى حد أن

القيادة البريطانية رسمت مصورا لتلك القواعد ونجحت في قصفها جيدا وبدقة كبيرة مما أفسد الخطة على هتلر!!

• المقدم ألكساندر كراوفورد: توفي في بريطانيا عن «٨٦» عاما، نال وسام الشجاعة في موقعه النور ماندي أثناء الحرب العالمية الثانية، وأشادت القيادة بشجاعته في معارك بورما عام ١٩٤٥، نجا كراوفورد من الموت بأعجوبة عندما قصفت القوات الألمانية وحدته برا وجوا وأوقعت فيها خسائر بشرية كبيرة، وقد احتمى المقدم في إسطبل استهدفته القنابل فاشتعلت النيران فيه، وما كان منه إلا أن أسرج الحمار الوحيد في الإسطبل وخرج تحت قصف القنابل المعادية، وتمكن من النجاة.

• السيدة غوين اليستون: توفيت في بريطانيا عن «٨٦» عاما، أمضت السيدة ٣٥ عاما من عمرها تعمل في منصب «مراقبة تجارب الطيران»، وهي مهمة تقتضي منها أن ترافق الطيارين أثناء اختبار الطائرات الجديدة، أو أثناء قيامهم بعروض جوية خطرة، سبق لزوجها السيد بيت اليستون أن قام بالعمل نفسه وقتل في عام ١٩٣٩، بينما تابعت زوجته المهمة.

• ستاسي كولمان: توفي في بريطانيا عن «٨٧» عاما أمضى منها ٤٠ عاما في تعليم مادة «القواعد» للتلاميذ في المرحلتين الإعدادية والثانوية.

• جورجيو لومو بيتروني: توفي في إيطاليا عن «٨٢» عاما، اشتهر بالكتاب الذي وضعه بعنوان «العالم سجن» وحكى فيه عن تجربته في أحد معسكرات الإبادة التي أقامتها القوات النازية ومدى معاناة المعتقلين الإيطاليين في معسكرات هتلر.

● الرائد غودفري بروكتور: توفي في بريطانيا عن «٩٠» عاما، قائد الفرقة العاشرة في حرب بورما، أصيب خلال الحرب مرتين، في المرة الثانية وبعد أن أصابته شظية من قذيفة مورتر تحامل على نفسه ليتابع قيادة فرقته، غير أن بغلا هائجا رفسه بشدة مما أدى به إلى الإغماء، حيث تولى أحد زملائه بعد ذلك إنقاذه.

هذه نماذج عن «الوفيات» في الصحيفة البريطانية، ولا يملك القارئ إلا أن يشعر «بالراحة» وهو يقرأ عن هؤلاء «المعمرين» الذين كانوا يداعبون الموت في سنوات حياتهم المديدة، أو يمارسون التعليم، أكثر الوظائف مشقة في العصر الحديث، ومع ذلك فقد عاشوا وعمروا، من دون أن يضطروا للسفر لبلاد الشرق الأقصى أو الصين بحثا عن الأعشاب السحرية التي تطيل العمر، ومن دون أن يقصدوا الطبيب مرتين كل يوم خوفا من الموت، فاستحقوا طول العمر.

الحقيقة المرة و.. الكذبة الحلوة

العالم فريقان، واحد تعجبه الكذبة الحلوة ويفضلها على المُرّة ولو كانت الحقيقة نفسها، وآخر يحب الحقيقة حتى الموت، وليس بالضرورة موته بقدر ما هو موت الآخرين (!) يعني أنه يفضل الحقيقة، وسماع الحقيقة ولو كانت علقما.

وكنت أعتقد أن «الشرقي» وحده بخياله الجامح وعالمه المسحور وقدراته الخارقة على «فك رقبة» الحقيقة، هو من فريق تشجيع الكذبة الحلوة، خاصة في السياسة، عندما يصرخ الزعيم بالقوم «كل الحقيقة للجماهير» فيهتف له القوم مؤيدين مع معرفتهم التامة بأن ما يقصده هو «كل الحقيقة للجماهير، أما كل السلطة فهي ..لي». كانت تلك قناعتي إلى أن قرأت دراسة ممتعة عن دار نشر في بريطانيا تحمل اسم «ميلز ويوت» تبيع سنويا ٢٠٠ مليون نسخة من الكتب التي تصدرها.

وهذه الكتب التي تباع مستعملة أيضا - بمعنى أن القراء يزيدون على الـ ٢٠٠ مليون سنويا - تقتصر على روايات الحب الخيالية، وهو الشرط الذي تطرحه الدار ليأخذ العمل طريقه إلى النشر.. أما لماذا تصر الدار على أن يكون هذا الحب «خياليا» فالسبب - كما تقول إحدى القارئات المدمنات - لأن نصف حالات الزواج تنتهي بالزوجين إلى الطلاق، أما النصف الثاني فينتهي إلى الخيانة، إذن عن أي حب تتحدث؟ من هنا

فإن دار النشر قررت أن تبيع الناس الكذبة الحلوة لأنهم يفضلونها على الحقيقة المرة، ونجحت إلى حد هائل.

وللكذبة الحلوة شروط أولها أن تنتهي الرواية نهاية سعيدة كما في كل الأفلام الهندية والمصرية، أي بعد أن يعيش البطل والبطلة أهوال الغواية وأخطار الفراق يعودان فيلتقيان ليعيشا إلى الأبد معا، وثاني هذه الشروط أن تأتي القصة مروية على لسان «البطلة» وليس البطل، وهذه البطلة غالبا ضئيلة غارقة في المشاكل، مغلوبة على أمرها، غير أنها عندما تواجه الفارس الأسمر (هو أسمر غالبا - طلياني، إسباني مثلا) فإنها تتمكن من ترويضه وتعليمه كيف يصير «فتى أحلامها»، ومع أن حبل الكذب قصير كما يقال إلا أنه في روايات دار النشر المذكورة فإنه أطول من جدار الصين.

هنا تتدخل السلطة الدينية، أي الكنيسة، رغم أنها في الواقع لا تملك أية سلطة، فيعلن أسقف «يورك» أن دار النشر لا تحترم الحياة المسيحية الحقة لأنها تخلق لدى الناس الكثير من الأوهام، فهم عندما يتزوجون استنادا إلى هذه الروايات يحسبون أنهم يدخلون الجنة، بينما الحقيقة أن هذا القدر من السعادة نادر ولا يأتي من أول نظرة.

أطباء علم النفس يختلفون عن الكنيسة في هذا التوجه، ويقول أحدهم: «صحيح أن هذه الروايات الخيالية تعطي جرعة كبيرة من السعادة الوهمية إلى القارئ، غير أن هذا هو الجانب السلبي فقط، أما الإيجابي فهو أن كثيرين من القراء سوف يبذلون جدهم كله للوصول إلى هذه السعادة الخيالية، وربما ينجحون في الحصول أخيرا على جزء كبير منها، إنها تمنحهم الحلم ومن دونه ليس هناك حب».

واعتقد أنه بعيدا عن منصات الشهود في المحاكم فإن كثيرين منا يفضلون أن يعبوا من كأس الكذبة الحلوة حتى الثمالة، ورحم الله سقراط الذي شرب كأسه وسقط صريعا من أجل الحقيقة، بينما ما زال تلميذه أفلاطون يعيش حتى اليوم في خيالنا الذي ساهم في صنعه.

كوكب العشق

أثار القاضي الأمريكي وليام نورتون ضجة كبيرة في ولاية داكوتا؛ حيث يمارس عمله، عندما أعلن أن كوكب الزهرة هو المسئول عن وقوعه في غرام سكرتيرته التي لا يتجاوز عمرها العشرين ربيعا، قال القاضي: «أنتم لا تعرفون هذا الكوكب، ولكنني أعرفه، لقد ولدت تحته! إنه كوكب الحب الجارف، وهو يفيض مرة واحدة كل ٦٠ عاما.. حسنا، لقد انتظرت ٦٠ عاما قبل العثور على حبيبتي، لقد كانت تقف هناك بانتظاري، تماما تحت كوكب الزهرة».

القاضي الأمريكي متزوج وعنده ٣ أولاد، وقد سخرت منه أجهزة الإعلام ووصفته بأنه «عاشق الزهرة» غير أنه رد في كتاب استقالته بقوله: «أعرف أن الإنسان ليس ملاكا، ولكنه بالتأكيد ليس شيطانا أيضا؛ وأرى أن العدالة لا يمكن أن تستوفي شروطها إذا لم تأخذ في اعتبارها تأثير الكواكب على طبيعة البشر، فالكون كله وحدة متجانسة، والخير كالشر يستقران جنبا إلى جنب في قلب الإنسان».

وتبدو قصة القاضي الأمريكي وكأنها «مرافعة عصرية» عن أساطير وحكايات ومعتقدات يختزنها تراث الشعوب، ومن بينها تراثنا العربي، إذ إن لكوكب الزهرة موقعا مميزا في هذا التراث، وقد سماه العرب «السعد الأصغر» ويقول القزويني: «إن الزهرة تثير غريزة الجنس، وهي إذا كانت جيدة الحال، أوقعت بين المتآلفين من شدة الحب ما يتعجب الناس منه،

وزعموا أن ذلك مجرب». كما ورد في الجزء الأول من تفسير الطبري عن هذا الكوكب ما يأتي: «لما وقع الناس، من بعد آدم، في الضلال، شرعت الملائكة تطعن في أعمالهم، فأراد الله أن يبتلي الملائكة أنفسهم، فأمرهم باختيار ملكين من أعظم الملائكة علما وزهدا وديانة، فاختاروا هاروت وماروت، وأهبطا إلى الأرض بعد أن ركّبت بهما شهوات الإنس.. وفي الأرض عرضت لهما امرأة جميلة كالزهرة بين الكواكب، فغلبت عليهما الشهوة، فأقبلا عليها وراوداها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها. وأخرجت لهما صنما يعبدانه، فامتنعا، وصبرا ردحا ثم أتياها وراوداها عن نفسها، فأبت ثانية واشترطت عليهما إحدى ثلاث: إما عبادة الصنم، أو قتل النفس، أو شرب الخمر، فقالا: كل ذلك لا ينبغي، ثم احتدمت بهما الشهوة فآثرا أهون المطاليب وهو شرب الخمر. فسقتهما، حتى إذا أخذت الخمر منهما وقعا بالزهرة (١)، وهنا يمر بهما إنسان فيخشيان الفضيحة ويقتلانه.. ويكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء فتنظر الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب فيعجبون كل العجب، ويأخذون بالاستغفار لمن في الأرض من البشر.. ويروى أنها طلبت منهما تعليمها الكلام الذي يصعدان به إلى السماء فعلماها، وعرجت به السماء، وهناك نسيت ما تنزل به فبقيت مكانها، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل». وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التفسير هو من الإسرائيليات - كما يقول المحققون - على أساس أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم.

... ومع أنني لست في وارد الدفاع عن القاضي الأمريكي عاشق الزهرة، إلا أن قصة كوكب العشق تعيد إلينا فضيلة التسامح. وهي فضيلة تكاد تكون مفقودة في عالمنا اليوم، فالكل واقف على سلاحه يبشر بالويل والثبور وعذاب القبور.. مع أنه يعرف في أعماق قلبه أن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم.

«رفيعة هانم» تشغل أمريكا

«رود أيلاند» هي ولاية أمريكية، وفي هذه الولاية تقوم عاصفة من النقاش الساخن تجتاح باقي الولايات.

السبب هو أن إحدى محاكم الولاية أصدرت حكما على الحكومة المحلية يقضي بأن تدفع تعويضا لإحدى السيدات يصل إلى ١٠٠ الف دولار. لماذا؟ لأن وزن السيدة يصل إلى ١٤٥ كيلو غراما، ولأن حكومة الولاية المحلية رفضت توظيف السيدة «رفيعة هانم» بسبب وزنها.

القاضي العادل اعتبر أن السيدة تعرضت إلى ما يسمى «التمييز السمني» - نسبة إلى السمنة - وهو مثل التمييز العنصري الذي يعتمد اللون، ومثل التمييز الجنسي الذي يعتمد الذكورة والأنوثة، ومثل التمييز المذهبي الذي يعتمد المذهب.

الحكومة المحلية استأنفت الحكم، ومحكمة الاستئناف رفضت مبدأ دفع التعويض، ولكنها أوصت بتعيين السيدة البدينة «مشرفة» في إحدى المصحات العقلية (١).

ولكن القيامة التي قامت لم تقعد بعد، فالسابقة قد وقعت و«اللوبي السمين» بدأ نشاطه في الكونغرس، بينما رجال القانون بدءوا مناظرات حول تعريف «السمين» أو «البدين» أو «التخين»، بعضهم طرح أن شرط «السمنة» هو أن يكون صاحبها ضعف الوزن العادي قياسا لطوله، فلو

كان طوله مثلا ١٥٠ سنتيمترا لكان وزنه الطبيعي ٥٠ كيلو غراما، أما إذا بلغ ١٠٠ كيلو غرام فإنه يستحق تعريف «السمين» بحكم القانون.

آخرون رأوا أن السمنة تشكل إعاقة، وهذه الإعاقة تبدأ عندما يزيد الوزن بمقدار النصف وليس الضعف.. كما أن هؤلاء المعوقين يستحقون أن تشملهم تعويضات الإعاقة التي تدفعها الحكومة، ويحتاجون إلى برامج إعادة تأهيل تصرف عليها الحكومة، وبالطبع فإن إعادة التأهيل تعني أن ينتسبوا إلى النوادي ودور التجميل كي يستعيدوا رشاقتهم.. وعلى حساب الدولة (!).

وهنا طرح بعضهم السؤال: ولكن كيف تستطيع الحكومة أن تميّز بين «السمين بالولادة» و«السمين بالإرادة»، بين واحد يشكو من أمراض في الغدد، أو أمراض نفسية (!) تدفعه لالتهام علبة كاملة من الشوكولاتة في جلسة واحدة، وبين آخر لا يستطيع أن يقاوم إغراء الآيس كريم فيندفع للغرق فيه؟

.. والسجال ما زال مستمرا، وأعتقد أنه سوف يفتح أبوابا أخرى غير محسوبة، فالقصير مثلا قد يقوم بمقاضاة ناد لكرة السلة لأنه لم يوظفه في فريقه، والأصلع يمكن أن يشكو الكوافير أو الحلاق إذا رفض أن يستخدمه في عروضه أو كاتالوجاته، أما السيدة «رفيعة هانم» فيمكن أن تطلب تعويضا عن دار عروض الأزياء إذا رفضت مواهبها. وهكذا يمكن أن يتحول كل أمريكي إلى مضطهد - بفتح الهاء - أو .. معاق.

ضحايا و.. أبطال

«أنت لا تستطيع ان تكون ضحية في الشارع وبطلا في السرير» العبارة اطلقها عميد الأطباء النفسانيين في البرازيل «موسير كوستا» الشهر الماضي، تعليقا على استبيان طرحته وزارة الصحة بالمشاركة مع وزارة الداخلية، وكان هدف الاستبيان معرفة مدى تأثير الأزمة الاقتصادية وأحداث العنف التي ترتكبها العصابات في الشارع على الحياة الجنسية لدى المواطنين، وبالتالي على مستوى الخصوبة لديهم.

وتبين، نتيجة لهذا الاستبيان، أن معدل تواصل الأزواج مع زوجاتهم قد انخفض من ٥ مرات أسبوعيا، قبل عقد من الزمن إلى معدل وسطي لايزيد على مرة و«نصف» في الأسبوع.

وتوقع أصحاب الاستبيان انخفاض نسبة الولادة في السنوات المقبلة، مقابل ارتفاع عدد المرضى الذين يلجئون للعيادات النفسية.

وهذا الربط بين «الفحولة» وبين الشعور بالأمن والحرية ربما يكون قاعدة علمية تستحق منا أكثر من وقفة.

في الهند مثلا هناك طائفة من الناس تولد في مواسير المياه الأسمنتية، وتتزوج فيها، وتلد فيها، و.. تموت فيها، ولا أعرف إذا كانت تلك المواسير الهندية تمنح من الأمن لساكنيها أكثر مما تمنحه بعض أنظمة الحكم البوليسية، ففي نهاية المطاف هناك برلمان في الهند، يقوم

على مبدأ الانتخاب الحر، وربما كان هذا المبدأ وحده يثير في الهنود «فحولة» مميزة، لا تعرفها إلا الأمم الديمقراطية.

أما في الصين حيث يعيش المرء على حفنة من الأرز يوميا، فإن الحكومة تبذل جهودا كبيرة وتسن عقوبات صارمة لمنع المواطن من إنجاب أكثر من طفل واحد، ومع أن الصين يحكمها الحزب الواحد، إلا أنه ربما كان في عدد السكان الذين يزيدون على مليار و٢٠٠ مليون نسمة، يتوزعون على مساحات شاسعة من الأراضي، ولكنهم يعيشون في ظل دولة واحدة، متساوين في الحقوق والواجبات من دون حروب أهلية، عرقية أو دينية.. ربما كان في وحدة تلك البلاد وكثافة سكانها ما يمنح المواطن فيها فحولة تجهلها الجماعات المتحاربة داخل الوطن الواحد.

أما في وطننا العربي، فإن هناك نموذجين على الأقل يؤكدان صحة هذه القاعدة، الأول في العراق، حيث دعا حاكم نظام بغداد شعبه إلى ضرورة زيادة المواليد، وهي دعوة تكشف عن مدى العقم الذي يمكن أن يصيب الإنسان في ظل القمع والاستبداد وانعدام الأمن، أما الثانية فهي دعوة السلطان قابوس المواطنين إلى تحديد عدد أفراد الأسرة بخمسة بدلا من سبعة أفراد، وهو ما يكشف عن فحولة إضافية لدى أهلنا في عُمان نتيجة للشعور بالأمن و.. الحرية.

... وتبقى سلبية واحدة لهذه القاعدة الذهبية، وهي أن بعض فرسان السرير تضيق بهم الساحة المحلية فيوسعونها باتجاه الشرق الأقصى.

عن «النكتة»

زعيم عربي غريب - وما أكثرهم - صرح بأنه يجب الا نضحك على النكتة، بل يجب اعتقال قائلها وتعريضه للعقاب والتعذيب حتى يعترف على من قالها له.

سوف يحتار هذا الزعيم كثيرا، وسوف يبالغ في تعذيب أفراد شعبه إذا أصر على ذلك، فلا أحد يمكنه أن يقاوم الضحك على نكتة جيدة حتى ولو كانت على نفسه، ولا أحد أيضا يدعي شرف تأليف نكتة مهما كانت فتاكته، كل النكت منقولة وخلفها عبقري مجهول، هو الطبيعة الإنسانية التي ترفض الاستسلام للألم وتحاريه بالكلمات، والزعيم العربي إياه من ذلك النوع الذي ملأ حياتنا غما وكمدا، ولكنه في المقابل أدى خدمات جليلة لكل رواة النكتة ومريديها، فقد تولدت من تصرفاته عشرات النكت أصبح هو بطلها الدائم والأوحد.

ليست هذه هي القضية الأولى، فالزعماء يأتون ويروحون والنكت باقية، أشبه بنبات بري يظهر دون أصل معروف، ثم تبدأ الألسنة في تداولها لتضيف إليها عشرات التفاصيل؛ حتى تصبح «حريفة» على الأذن، جديرة بالقهقهة، وهناك كتاب متخصصون في النكت فقط يضيفونها للمسرحيات والأفلام الثقيلة الظل، وهم لا يؤلفون نكتا جديدة بقدر ما يستفيدون من تراث طويل يحرص فيه الإنسان على مواصلة الضحك حتى يطهر روحه.

وفي إحدى قصص الخيال العلمي للكاتب الشهير إيزاك أسيموف، يجمع أحد العلماء كل النكت على كمبيوتر كي يحللها ويعرف مصدرها، ويكتشف في النهاية أن النكتة لا مؤلف لها على وجه الأرض، وأن سكان كوكب آخر يبعثون بها إلينا كي نضحك وننفعل، ويستطيعون هم بواسطتها قياس كل الانفعالات، أي أنها مجسات اختبار يعرفون بواسطتها نقاط القوة والضعف في نفوسنا.

ولكن دور النكتة لا يقف عند حد النقد اللاذع، فهي تأخذ دورا أخطر من ذلك حين تكون أسلوبا للتطهر والتسامي والبحث عن الجانب «الكوميدي» في المأساة مهما كانت صعوبتها، ولعل هذا هو أبرز ما يحدث في الكويت الآن، فهم يحاولون تذكر الجانب المضحك من مأساة الاحتلال.

لقد لبثت أوربا وأمريكا أكثر من عشرين عاما كي تكتشف الجانب الكوميدي من الحرب العالمية الثانية، واستغرق الأمر وقتا أطول مع السوفييت، وأصبحنا أخيرا نسمع نكاتا، ونشاهد أفلاما كوميدية يدخل فيها الألمان والحلفاء في حروب مضحكة أشبه بالمقالب منها بالمعارك الحقيقية، ولكن أناس الكويت الذين يتبادلون الطرائف والنكات حول الغزو قد وصلوا إلى هذا التغيير سريعا، إنها رغبة عارمة في نفس كل واحد منهم حتى يتطهر من أدران هذه المأساة وأن يعلو بنفسه على أحاسيس المرارة والكراهية تجاه العدو وأن يضمد جرحه ببلسم الكلمات، فهم لا يريدون أن يتركوا أنفسهم لحدة هذه المشاعر حتى لا تحدث في النفس جراحا أشد غورا، إنها رغبة التسامي لشعب لا يستطيع أن ينسى ولكنه يريد أن يتسامح، ورغم أن المسألة تبدو صعبة إلا أنه قد بدأ الخطوة الأولى حين يتذكر ما حدث.. كل ما حدث.. فيضحك.

حاتم طيء وحصانه و.. أحفاده

حاتم طيء ذبح فرسه كي يطعم ضيفه، هذا ما تعلمناه في طفولتنا، وتعلمنا أيضا أن الكريم العربي لا يوفر أغلى ما يملك، وهو الحصان أو الفرس من أجل إكرام الضيف.

وعلى ما يبدو فإن أحفاد حاتم طيء قرروا تحويل تراث جدهم إلى وكالة تجارية لبيع لحوم الخيول معلبة.. وبأرخص الأسعار لإكرام.. الزبائن.

هذا ما طالعتنا به تصريحات أحد أو بعض المسئولين في الجمعيات التعاونية في الكويت، الشهر الماضي، عندما تم الإعلان عن أن إحدى الشركات الخليجية تقوم بتعليب لحوم الخيول وبيعها في أسواق الكويت والخليج باعتبارها عجولا وأبقارا وثيرانا.

ووفق سيناريو فيلم «ذئاب لا تأكل اللحم» فقد توقف أكلة اللحوم عن اشتهاء المعلبات، وتحول بعضهم إلى.. نباتيين، مع أنه كان يفترض أن يحدث العكس، خاصة أنه من المعروف في فرنسا أن وجبة لحوم الخيول المعلبة تقتصر على أهل النخبة من القادرين على ابتياعها واستهلاكها بسبب ارتفاع ثمنها، أما في دول شرقي آسيا فإن لحوم الخيول هي في ندرة الكافيار الإيراني، وكانت إحدى التهم الموجهة إلى إيميلدا ماركوس زوجة دكتاتور الفلبين السابق هي أنها كانت تلتهم مع زوجها حصانا كاملا كل أسبوع (١).

.. ومع ذلك فإن جماهيرنا تفضل لحوم العجول والأبقار والثيران والأغنام بل والتيوس على.. الخيول، وهذه ظاهرة «نفسية» تستحق الدرس، فالعرف الاجتماعي يتعامل مع الحصان أو الفرس، كما يتعامل الهندوس مع البقرة، وفي الأمثال الشعبية الكثير مما يفيد هذا المعنى من نوع «لسانك حصانك إن صنته صانك»، هذا من ناحية، كما أن كثيرين من أبناء الخليج العربي يدفعون ملايين الدولارات من أجل حصان عربي يرمح في السباقات، وهذا الحصان العربي عندما يتقاعد عن الجري والسباق فإنه بالتأكيد لا يذبح بل يتم استغلاله في عمليات «تجويد وتحسين» النسل، فيؤتى إليه بالأفراس لتلقيحها، وقد أخبرني «مَضمّر» بريطاني أن صاحب أحد الخيول العربية الأصيلة كان يتقاضى مبلغ ١٥ ألف جنيه عن كل «وثبة» لتحسين نسل السلالات البريطانية.

وأخيرا فإن هذا الاستنكار الشعبي لتحويل الخيول إلى معلبات هو دليل عافية، فالخيل المعقود في نواصيها الخير يصعب تعليبها، كما يصعب تعليب الفرسان (١).

الجلد بين القفا و.. الرأس

مايكل فاي، طالب أمريكي عمره ١٨ عاما، ضبطته شرطة سنغافورة وهو يقوم بتخريب عدد من السيارات، وسرقة أدوات من سواها، فحكمت عليه بغرامة مالية صغيرة و٦ جلدات بالخيزرانة.

.. وزلزلت أمريكا من أدناها إلى أقصاها، الرئيس بيل كلينتون كتب شخصيا للرئيس السنغافوري ملتمسا رفع عقوبة الجلد عن الطالب المشاكس.

ولكن المفاجأة جاءت من بلدة الطالب نفسه التي قالت أغلبيتها بصوت مرتفع «اجلدوه»!!، وفي الاستفتاء الذي نظمته صحيفة البلدة قالت إحدى السيدات: «لو أن الجلد يطبق هنا، فعندئذ كنا نضمن أن صوت «الخيزرانة» يجعل صوتنا مسموعا لدى .. الشبان».

وبالتأكيد فإن الطالب الأمريكي مايكل فاي سوف يدخل موسوعة جينز باعتباره أول «مجلود» في التاريخ ينال هذه الشهرة الواسعة بحيث يتحول إلى بطل المجلودين (١).

وسائل إعلام سنغافورة تصدت للهجمة بكل ما تملك من خيزرانات، وأعلنت أن «الجلاد» ليس هاويا بل هو محترف، وقالت إن الحكومة سوف تدفع له مبلغ ٣ دولارات عن كل جلدة.

ولكن وسائل الإعلام الأمريكية استغاثت بمنظمات حقوق الإنسان، وأشفعت استغاثتها بدراسات وضعها أطباء ومحللون نفسانيون تؤكد أن

الجلد على القفا قد يؤدي إلى أن يفقد المجلود رجولته ويتحول إلى «النوع الثالث» فلا هو ذكر ولا هو أنثى.

صحف اليمين المتطرف في أمريكا قالت إن كرامة «الأنكل سام» في الميزان، وأن يجلد أمريكي في العالم الثالث، فالجلد يطال جميع اليانكيين، واقترح بعضهم أن يقوم الطالب نفسه بجلد قفاه حفاظا على الكبرياء القومي.

وبالطبع، ليست هناك أية شبهة حول أهمية «القفا الأمريكي»، ولكن في هذا السياق يمكن لكثيرين من شعوب العالم الثالث الذين يجلدون على رءوسهم ليل نهار، بل إن بعض حكوماتهم لا توفر حتى جلدة رءوسهم، فتسلخها !! يمكن لهؤلاء أن يطالبوا بدورهم منظمات حقوق الإنسان بأن تساوي بين رءوسهم وبين ذلك القفا المحظوظ، وعندئذ سوف يعرفون كيف يوفرون الحماية لأقفيتهم.. ومن دون مساعدة خارجية.

.. والمعذرة لهذا التشبيه، وشكرا لأمريكا التي تحترم أقفية مواطنيها أكثر مما تحترم حكومات أخرى رءوس أبنائها، واللعنة على من قال: لا صوت يعلو فوق صوت الخيزرانة.. أو بيت المال.

لا أريد أن أكون مليونيرا

جابر محمد إسماعيل، مواطن باكستاني عمره ٣٠ عاما، والده يعمل «دهانا» فى بلدية العين، في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو يساعد والده في إعالة أسرة تضم ثمانية إخوة وشقيقات.

وبين يوم وليلة انقض الحظ على جابر، فكسب مبلغ مائة مليون دولار دفعة واحدة.

وظهرت صورة جابر مع ما تيسر من أفراد العائلة في معظم صحف الإمارات، عبر مقابلات روى فيها كيف أنه كسب جائزة «اللوتري» التي تنظمها شركة أمريكية في ولاية فلوريدا. وظهرت مع صورة جابر صورة الدفعة الأولى من الجائزة على شيك يحمل الرقم ١٧ مليون دولار.

الحظ يبتسم أحيانا، ولكنه مع جابر كان يقهقه (!) وانقلبت حياة جابر رأسا على عقب..

عملاء البنوك، سماسرة شركات التأمين، شركات السيارات، رجال مال وأعمال، نواب في البرلمان الباكستاني.. أهل بلدته وعشيرته كلهم يتصل أو يحضر شخصيا لمقابلته.

قال والده: لقد اضطررنا إلى تغيير أرقام الهاتف، وجابر لا يستعمل إلا «البيجر».

وكنت اتابع أخبار جابر عبر صحف الإمارات، وأستخدم الحاسبة الآلية لمعرفة كم تساوي ١٠٠ مليون دولار، إذا تم تحويلها إلى الروبية الباكستانية، وأتابع أخبار اللوتري في الصحف الأمريكية.

.. وبعد شهرين تقريبا، حدثت الصدمة.. وتبدد الحلم، فقد نشرت صحف الإمارات أن عشرات آخرين قد فازوا باللوتري، وقد وصلتهم شيكات بأسمائهم شخصيا، وقد كتب على كل شيك «هذا نموذج.. لا تصدقه الآن»، وبعد التحقيق تبين أن شركة اللوتري الأمريكية هي شركة وهمية، وأن فروعها في أوربا غير مسجلة حكوميا، كما أن صناديق بريدها محجوزة في المطارات تحت أسماء شخصية.. مستعارة، وبالتأكيد فإن أصحابها هم من كسب «اللوتري» من فقراء الأرض الحالمين بالثروة.

والد جابر لم يصدق، وقال: مستحيل!! إن جائزتنا حقيقية، وسوف نقبضها، إن ابني سوف يغادر إلى فلوريدا و.. سوف يقبض ١٧ مليون دولار!!

هل يمكن للحظ أن يضحك ويقهقه ثم يبكي وينوح مع أحد الناس إلى هذا الحد؟ وماذا تفعل لو أن هذا الحلم - الكابوس - قد وقع معك؟

أعرف صديقا ربح باليانصيب مبلغا اقل بكثير من لوتري جابر، وكان أول ما فعله هو أنه استبدل زوجته.

ونأمل أن جابر قد تزوج مليونيرة إذا كان أعزب، أو احتفظ بزوجته الفقيرة على الأقل، إذا كان متزوجا..

وأبعد الله عنا أرباح اللوتري.. المزيفة.

البيجوم والشيخة وما بينهما..

تتناوب على حكم بنغلاديش امرأتان: رئيسة الوزراء البيجوم خالدة ضياء وقائدة المعارضة الشيخة حسينة، أي أن شعب بنغلاديش المسلم اختار امرأة لتحكمه في الحالين: في الموالاة وفي المعارضة، ومن قبل شعب بنغلاديش المسلم اختار شعب باكستان المسلم امرأة أيضا لتحكمه هي السيدة بي ناظير بوتو، ومن قبلهما اختار شعب الهند الهندوسي والمسلم السيدة أنديرا غاندي لتحكمه، ومن قبل هؤلاء أيضا اختارت دولة سيلان «سيريلانكا» الملاصقة للهند السيدة باندرانايكه لتحكمها.

القاسم المشترك بين هذه الدول هي أنها دول متحاربة فيما بينها، وفي داخلها، فالمعارك لا تتوقف مع الخارج ولا مع الداخل.. وقد جرّب معظمها حكم الجنرالات والعسكر.. ولكنه فشل، ومن هنا كان خيارهم أن تحكمهم امرأة بدلا من.. الجنرال.

لماذا؟

لنأخذ الحكاية التالية كنموذج على العلاقات «السياسية» بين النساء الحاكمات أو المعارضات:

قبل حوالي ثلاثة أشهر قررت الشيخة حسينة مقاطعة البيجوم خالدة و«عدم التكلم معها» لأنها بيروقراطية وليست ديمقراطية(١)، البيجوم ردت ووصفت غريمتها بأنها «سلطوية».. وما بين هذا السجال ضرب الشلل مؤسسة الدولة، فالمعارضة لا تشارك في جلسات البرلمان، والحكومة لا تستطيع أن تقر الموازنة من دون موافقة المعارضة في البرلمان.

... وذهبت البيجوم إلى الحج لبيت الله الحرام، وعادت ومعها هدية لغريمتها تتضمن: سجادة صلاة ومسبحة و... زجاجة من بئر زمزم، وكلفت كبير وزرائها بحمل الهدية إلى «ضرّتها» في السلطة بعد أن وزعت نبأ الهدية على وسائل الإعلام وعلى أوسع نطاق ممكن.

الشيخة حسينة شعرت بالغبطة لهذه المبادرة، غير أنها لم تقبل أن تفتح باب المصالحة على اتساعه، مقابل الهدية، بل أبقت عليه مواربا، وهكذا عندما وصل الوزير حامل الهدية، لم تستقبله في الطابق السفلي من دارتها لأنها تعاني من «التواء» في الكاحل (!)، ولأن الوزير بدوره، لا يستطيع أن يصعد إلى جناحها في الطابق العلوي المخصص للحريم والمحارم، فقد اكتفى بتقديم الهدية إلى الوصيفة كي تحملها إلى سيدتها.

المهم أن «الهدية» أقفلت نافذة الحرب بين «الضرتين» وفتحت أبواب السلام بين الحكومة والمعارضة.

ولا أعتقد أن الهدايا يمكن أن تفتح قلوب الرجال، بل ما أعرفه هو أن بوتو الأب، والد بي ناظير، أهدى الجنرال ضياء الحق، قائد قواته، سيفا ذهبيا، وما فعله الجنرال هو أنه تزيّن بذلك السيف وهو يشاهد عنق بوتو تتدلى من حبل المشنقة.

... وما بين السيف وماء زمزم فتش عن حكمة المرأة الحاكمة.

لعبة الحياة

بعد شهر واحد من اللعب النظيف انتهى مونديال أمريكا ٩٤ لكرة القدم، وتواصل اللعب القذر.

اختفت من شاشات التليفزيون ألوان الفرق المتنافسة كقوس قزح، وخمدت صيحات التشجيع والانتشاء، وعادت ألاعيب الساسة وبشاعات الحرب الأهلية ومسلسل التفجير والاغتيالات دون هدف أو مبرر، لا يهم من فاز بكأس العالم، ولا إن كانت الأهداف أو الإيرادات قد ارتفعت إلى أرقام قياسية أم لا، المهم أن البشرية قد عرفت أسلوبا من التنافس السلمي يختلف عن الأسلوب الدموي الذي تعودت عليه طويلا.

كرة القدم هي لعبة الحياة، ضع حجراً أمام أي طفل، سوف يركله، لأن هذا الفعل يخاطب غريزة اللعب الموجودة داخل كل واحد منا، وهي لعبة الحياة لأنك بقدر ما تعطي تأخذ، وبقدر ما تسعى تنال، ويبقى عليك أن تحاول أن تتوقى ضربات الحظ العاثر.

وربما كانت هي اللعبة الوحيدة المفتوحة، فكل أطراف الصراع فيها موجودون أمام عينيك في نفس اللحظة، فهي ليست مثل لعبة السياسة المليئة بالدهاليز الغامضة، وليست كالعلاقات بين الأفراد التي تبطن أكثر مما تظهر، كل شيء في كرة القدم يتم تحت أنظار الجمهور من السهل كشفه.. وفضحه.. هذا هو سر سحرها الآسر..

وهي لعبة الانتصارات غير المتوقعة، فيمكن لدولة صغيرة أن تفوز.

ولو لمرة في العمر. على دولة عتيدة تفوقها في كل شيء تقريبا، ويمكن لبضعة من اللاعبين الموهوبين أن يعيدوا للدولة كرامتها التي فقدتها على المستويين الاقتصادي والسياسي.

ولكن مونديال ٩٤ اثبت شيئا آخر، فقد اثبت أن كرة القدم هي لعبة الفرد الموهوب الذي يمكن أن يساوي فريقا بأكمله، وأن أساليب الاعتماد على اللعب الجماعي لم تعد مجدية، إنه شيء أشبه بالعودة إلى أسلوب الخصخصة والاعتماد على الحافز الفردي في الاقتصاد، فقد ضاع العقل المفكر من فريق الأرجنتين بعد أن توقف «مارادونا» عن اللعب بسبب تعاطيه المنشطات، وقاد «هاجي» رومانيا إلى مركز لم تحلم به، ولكن قواه ظلت تضعف مع تزايد الآلام حتى أنه كان يضع فخذيه في الثلج يوما كاملا بعد كل مباراة، وأنقذ «روبرتو باجيو» فريق «الآزوري» الإيطالي من الهزائم التي أوشك أن يقع في شراكها، ولكنه لعب المباراة النهائية وهو نصف مصاب، وكانت نتيجة ذلك أن أطاح بضربة جزاء سهلة في الفضاء.. وحده ظل «روماريو» محافظا على تماسكه وقاد فريق البرازيل إلى الفوز النهائي.

إنها لعبة الحياة بكل ما فيها من فرح وإحباط وبداية لا يدري أحد نهايتها، وسواء أحبت أمريكا هذه اللعبة أم لا، فسوف يخلف مونديال ٩٤ في ذاكرتها أثرا لا يمحى.

فى وداع القرن العشرين

سنوات قليلة وينتهي من تاريخ البشرية أشد القرون غرابة وأكثرها إثارة، القرن العشرون، وسوف تتبارى الأقلام حتى تؤبنه قبل أن تستعد لاستقبال القرن الذي يليه، ولكن سوف يبقى هناك سؤال حائر: ما هو ذلك الحدث الأهم الذي يمكن أن يدل على هذا القرن ويعبر عن روحه، بحيث يمكن أن نطلق عليه حدث القرن العشرين، هل هو غزو الفضاء وتحقيق أكثر أحلام الإنسان رومانسية بالهبوط على سطح القمر، وإن كان الحلم قد اقتصر على إحضار بعض من صخوره؟ أم أنه ذلك التلاحق السريع للتطور، بحيث تتراكم المخترعات وتتضاعف المعلومات في فترات زمنية قليلة، وفي خضم هذا اللهاث صعدت إمبراطوريات وهوت خلال حقب قصيرة، وهو الأمر الذي كان يستغرق قرونا طويلة؟ أم أنه قدرة العلم على النفاذ إلى الخلايا وهي أدق بنية في جسم الإنسان وبحثه الدائم عن تركيب شفرته الوراثية لعله يكتشف ذلك السر الأزلي، سر الموت؟ أم أنه تفجر كل هذه النزعات العدوانية واختراع أسلحة للدمار تفوق كل الكوابيس التي كانت تعاني منها البشرية؟.

لقد ولد قرننا العشرون من رحم القرن التاسع عشر، قرن العقل والتجريب، وولد معه الأمل في أن تصحح البشرية أخطاءها القديمة، مثل طغيان الأقوى والاستعباد والقهر، ولكن الأخطاء أصبحت أكثر حدة، أعطى التقدم العلمي للقوي أسلحة أكثر مضاء، وتحولت عبودية

الجسد إلى عبودية الروح، وبدلا من قهر الفرد، قهرت شعوب وأمم بأكملها. لقد كان قرن المتناقضات، اجتمعت فيه كل أشكال البذخ الشديد والفقر الإنساني المدقع، ووفرت التكنولوجيا أسبابا كثيرة للراحة ولكنها نزعت الأمان وجعلت العالم كله يعيش على حافة الخطر، شهد صعود أعظم الأفكار والفلسفات دون أن تحمل الحرية للإنسان، وهاهو قرن المتناقضات يوشك أن يمضي تاركا خلفه جروحا مفتوحة، وقد انطلقت قوى التعصب والتطرف من عقالها مثل الأرواح الشريرة التي كانت مختبئة في صندوق «باندورا» كما حدث في الأسطورة القديمة، فماذا يحمل لنا القرن الواحد العشرون؟

من بين كل الاكتشافات التي عرفتها البشرية لا يوجد مثل هذا الذي توصلت إليه في عصور ما قبل التاريخ، حدث هذا عندما استطاع الإنسان أن ينتصب بقامته وأن يرفع رأسه إلى أعلى، لقد أتاح له هذا أن يسير بقدمين على الأرض وأن يحرر يديه، أصبح قادرا على التقاط الثمار وصنع الأدوات وصيد الحيوان، كما أنه عندما رفع رأسه لم يعد منشغلا بموطئ قدميه فقط بل استطاع أن يكتشف ما حوله وأن يمد بصره إلى حافة الأفق، ولقد منحه هذا القدرة على التفكير والتخيل والحلم واستطاع أن يمتلك العالم، إننا الآن في حاجة إلى إعادة هذا الاكتشاف، أن نرفع رءوسنا إلى أعلى، وأن نتخلى عن نظرات التعصب الضيقة والأنانية، لنتطلع إلى الأفق ونحلم بمستقبل القرن القادم.

عالم... بالمقلوب

نظريا: الولايات المتحدة الأمريكية هي من يقوم بحماية إمبراطورية اليابان متى وقعت الواقعة، وقامت أمة من أمم هذه الأرض بالهجوم على الشعب الياباني المسالم والمنزوع السلاح.

عمليا: الولايات المتحدة الأمريكية هي من سوف يقوم بالهجوم على الشعب الياباني المسالم والمنزوع السلاح. كيف؟

هذا ما يقوله اليابانيون علنا وجهرا وعلى رءوس الأشهاد، ودون خوف أو خجل أو حياء. وفي التفاصيل، كما روتها وكالة «جيسمي برس» اليابانية، أن معهدا للأبحاث أجرى استفتاء بين الطلاب المنتسبين إلى أهم جامعتين في اليابان وهما جامعة «جيفو» وجامعة «ماي» الاستفتاء شمل ١٠٠٠ طالبة وطالب، وموضوع الاستفتاء هو: من هي الدولة التي يمكن أن تشن حربا على اليابان بحيث يستدعي الأمر إعلان حالة الطواريء العامة؟

وجاءت الإجابات كالتالي:

٣٤ في المائة قالوا إن الولايات المتحدة هي من سوف يقوم بشن الحرب.

١٢ في المائة استبعدوا أمريكا وقالوا إن كوريا الشمالية هي المؤهلة لشن مثل هذه الحرب.

٢٠ في المائة أكدوا أن روسيا ليس سواها هي من ينبغي الاستعداد لمواجهتها، لأن لديها ما يكفي من الدوافع لشن مثل هذه الحرب.

الغريب في هذا الاستفتاء أنه لم يتم في جميع المحاربين القدماء الذين واجهوا القوات الأمريكية، في خلال الحرب العالمية الثانية، ولم يعيشوا انتصارات بيرل هاربور ولا فظائع إلقاء القنبلة النووية الأولى في تاريخ البشرية على مدينة هيروشيما.. ليس المحاربون القدماء بل الطلاب هم من اعتبروا أن أمريكا هي العدو المحتمل وليس روسيا ولا كوريا الشمالية.

وكما نعرف فإن الطلاب هم «بارومتر» الشعب الحساس، يعبر بصدق عن مشاعر الأمة ومخاوفها، وإذا كان هؤلاء الطلاب يعتبرون. كما نقول في أمثالنا. أن «حاميها حراميها» فمن حقنا إذن أن نعيد طرح السؤال بالمقلوب:

«من هو الصديق المحتمل؟»

وأخاف أن تكون الإجابة صفرا.. أي ليس هناك أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون، ولكن مصالح دائمة.

وعندئذ سوف تبقى المشكلة قائمة حتى لو نظرنا إلى العالم بالمقلوب. ومعذرة لوزير الطلاب الصديق الدكتور أحمد الربعي على استعارتنا لعنوان زاويته الصحافية السابقة على وزارته «بالمقلوب»، مع ثقتنا بأن أبناءنا وإخواننا الطالبات والطلاب في الكويت لا يقلون مهارة عن زملائهم اليابانيين في اكتشاف «المقلوب».

في الطول والعرض

طول القامة وليس ثقب الأوزون هو ما يهدد البيئة.. هذه آخر الصيحات في الغرب.

صاحب الصرخة هو الأستاذ في جامعة سان دييغو الأمريكية، واسمه «توماس سامراس» وقد وضع اكتشافه المرعب في كتاب يحمل عنوان «الحقيقة حول طولك».

وقد توصل سامراس إلى اكتشافه عبر أبحاث استغرقت ٧ سنوات، استخدم خلالها ملايين الإحصاءات المخزونة في بنوك المعلومات وأجهزة الكمبيوتر، وهنا بعض ما توصل إليه:

إن الأمريكيين زادوا فى طولهم خلال الـ٧٥ سنة الماضية بمعدل ٩ فى المائة. وإذا ارتفعت هذه النسبة إلى ٢٠ في المائة، فإن الأمريكيين يحتاجون إلى زيادة استخدام الطاقة بنسبة ٥٠ في المائة. بالإضافة إلى أن كل مواطن سوف يحتاج إلى دونم من الأرض زيادة على ما يأكله حاليا من الإنتاج الزراعي، أما الكارثة فإنها ستتجسد في زيادة ٣ مليارات طن من ثاني أوكسيد الكربون، لأن الطويل يستهلك كمية إضافية من الأوكسجين وينفث مثلها من الكربون.

أما أبرز توصياته فهي:

لا تحشو أطفالكم بالطعام، لأن أنواع الطعام يمكن أن تزيد حوالي ١٦ سم في طول الواحد.. فيلتهم حصة أكبر من البيئة و... أفضل مقاس

للحفاظ على البيئة هو ألا يزيد طول الواحد على ٥ أقدام ووزنه على ٦٠ كيلوغراما!.

ومع أن الباحث الذي أعتقد أن طوله لا يزيد على ٥ أقدام طلب أن يحافظ أصدقاء البيئة على طولهم كما حدّده، وأن يضغطوا أطفالهم بحيث لا تسيء قاماتهم إلى البيئة، إلاّ أن هذا الربط بين الطول والوزن أراه، ولأسباب شخصية، مجحفا. إذ بإمكانك أن تمنع الواحد من زيادة طوله عموديا ولكنك لا تستطيع تحديده أفقيا أيضا... خاصة انه لم يثبت في أبحاثه أن خطوط العرض تمثل أي خطر على البيئة.

كما أن الإفراط في الطعام لا يؤدي فقط إلى تكوين عمالقة يستهلكون مزيدا من الأوكسجين ويطلقون مزيدا من ثاني أكسيد الكربون، ولكن أيضا لأن الإفراط في الطعام يتسبب في استخدام مزيد من فريون الثلاجات وإطلاق مزيد من الهيدروكلور وفلورو كربونات. وهاتان المادتان - الهيدروكلور وفلورو كربونات والفريون - هما المتهمتان بإحداث ثقب الأوزون واللتان يطالب أنصار البيئة بضبطهما والقبض عليهما في حالة تلبس. كلام علمي، ومنطقي أيضا، لكن هناك كلاما آخر يقول إن ثقب الأوزون هو جريرة الاختراق الأحمق لأجواز الفضاء، بالرحلات الصاروخية المكوكية وغير المكوكية. لكن يبدو أن هناك كثيرا من الكلام المنطقي، يقال ليخفي كلاما آخر أكثر منه منطقية.

وياطوال القامة.. دافعوا عن أنفسكم.

عن الموز والدجاج والوطن

أعرف أن قشرة الموز يمكن أن «تزحلق» الإنسان وأن تدق عنقه، ولكنها أعجز بالتأكيد عن دق أعناق الدول.

وأعرف أن الدجاج يمكن أن يغزو المعدة والأحشاء ليستقبل بمثل الحفاوة التي استقبل بها أهل هاييتي وأهل الكويت أيضا القوات الأمريكية، ولكن الدجاج لا يمكن أن يتحول إلى قوات؛ غزو تقام المتاريس وتغلق الحدود لمنع دخولها.

وأعرف أن الوطن هو أكبر بالتأكيد من كل دجاج الأرض وموزها وقثائها.

مع ذلك، فإن ما يجري على الساحة العالمية يجعلني أشك في هذه المعرفة وفي هذه القناعات الراسخة تحت فروة رأسي.

خذ مثلا الموز، قالت مجلة «تايم» الأمريكية، إن الموز يهدد اتفاقية الجات الدولية لتسهيل التجارة بين شعوب الأرض، وكشفت أن هناك حربا عظيمة تدور سرا وعلنا داخل القارة الأوروبية من ناحية، وبينها وبين أمريكا الشمالية والجنوبية من ناحية ثانية. كيف؟

الإنجليز، حفاظا على مصالح مستعمراتهم السابقة من جمهوريات الموز، ومعهم الفرنسيون، يطلبون تحديد «كوتا» لصادرات الموز إلى بلادهم، بينما الألمان الذين يستهلك الفرد منهم ما يزيد على عشرة كيلوغرامات سنويا من الموز يرفضون التضييق على أمعاء مواطنيهم،

ويطلبون فتح السوق أمام جميع أمم الموز، بما فيها الموز الصومالي من الحجم المعروف.

أما في أمريكا، فإن «هاواي» التي لا تملك إلا ما نراه في أفلام السينما من شجر الموز، وهو قليل، تقدمت بالتحالف مع جمهوريات الموز التي تستوطنها الشركات الأمريكية، بشكوى تعتبر أن منع الموز من دخول فرنسا وبريطانيا يتناقض مع اتفاقية الجات، وإذا بدأ الأمر بالموز، فإنه قد ينتقل إلى الفستق والخيار والقثاء.. والاتفاقية تسقط(!).

هذا على جبهة الموز، أما على جبهة الدجاج، فإن الولايات المتحدة تخوض حربا ضارية ضد حلفائها وأصدقائها، خاصة في السويد والنرويج، لأنهم «يتحفظون» على استيراد الدجاج الأمريكي، بعد أن أثبتت مراكز الأبحاث الأمريكية نفسها، أن هناك نسبة عالية من «السلامونيلا» القاتلة تستوطن ذلك الدجاج.

أصحاب الدواجن الأمريكية، ولديهم لوبي قوي في الكونغرس الأمريكي أطلقوا تهديداتهم مباشرة، ورفعوا شعار «ذبح في أمريكا» لتأكيد «قومية» الدجاج المذبوح.

و... ما أكبر الوطن(!)

قناع حي

لست ذلك الأعرابي الذي وجد مرآة ملقاة على الأرض فنظر فيها مليا ثم ألقاها على الأرض غاضبا وهو يقول «لو كان فيك خير ما ألقاك صاحبك» فعلاقتي مع المرايا ليس فيها هذا الجفاء البدوي وليس فيها ذلك العشق النرجسي أيضا.. إنها علاقة أحاول قدر الإمكان أن تكون محايدة ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في أن يخونك هذا الوجه ويتحول إلى مرآة تكشف عما في داخلك رغما عنك.

كنت متوهما أنني قادر على التحكم في عضلات وجهي، وأنني قادر - مهما كانت حالات الحزن أو الفرح التي تعتمل في داخلي - على أن أظهر أمام الجميع بذلك القناع المتماسك العضلات الذي لا يعكس شيئا، ولكن الذي يحدث دوما هو عكس ذلك. فما إن أقبل على مجلس من المجالس حتى يفاجئني من أقابلهم بالسؤال «ما بك حزين اليوم.. هل تعاني من اكتئاب؟» أو تعليق آخر «إنك تكاد تموت من شدة الفرح».. تعليقات قد يكون فيها مبالغة أحيانا، ولكنها دومًا تكاد تقترب من الحقيقة، كأن هذا الوجه المفضوح نافذة مفتوحة على أغوار النفس.

يقال إن وجه المرأة أكثر قدرة على الإخفاء من الرجل. فهي لا تحرك إلا عضلات أقل - بدقة وبحساب - وبالتالي تبرز أقل عدد من التعبيرات ولعل هذا أحد أسباب غموض المرأة. فهي - بعكس الرجل - لا تفصح عما بداخلها إلا في حالات العواطف الجياشة.. عندما تفقد السيطرة على عضلاتها دفعة واحدة.

كنت أتمنى لو كان لي وجه كالقناع الحي. يخفي أسراري ولا يشي بي، فالمصائر تتحدد على صفحات الوجوه. ولكن الأقنعة تخيفني وما قرأته عنها في تراث الآداب العالمية يزيد من خوفي. فلست أريد أن أكون مثل الرجل ذي القناع الحديدي الذي لبث في سجن «الباستيل» الفرنسي أكثر من ثلاثين عاما دون أن يكشف عن وجهه ودون أن يتوصل المؤرخون إلى شخصيته الحقيقية. أو «نرسيس» الذي وقع أسيرا في غرام صورته المنعكسة على حافة الماء وقاده عشق الذات إلى حتفه فلم يبق من ذكره إلا زهرة بيضاء على حواف الترع وعقدة نفسية في كتب علم النفس ولا وجه مصاص الدماء الذي لا يجرؤ على التعرض لضوء الشمس ولا يظهر في المرآة ربما حتى لا يكشف لضحيته عن المصير البشع الذي يعده له. ولا وجه «درويان جراي» بطل قصة الشاعر الإنجليزي الشهير «أوسكار وايلد» الذي تمنى أن يظل وجهه شابا وجميلا كما هو دوما. وفي سخرية عبثية حققت الأقدار رغبته فأخذ جسده يشيخ ويضمحل بينما ظل وجهه فتيا كأنه لا ينتمي إليه.

وجوه.. ووجوه.. ولكني في النهاية أفضل وجهي. بكل ما فيه ضعف وبساطة وصراحة ولكن... آه لو يتسنى لي أن احتفظ بما في داخلي سراً خفيا ولو حينا من الزمن.

سلاح الجنس والوجبات السريعة

يعتقد شوكوا آشارا أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم سلاحاً سرياً لتدمير اليابان، ويكشف لأتباعه أن هذا السلاح السري هو: الجنس و... الوجبات السريعة.

وأشارا - إذا كنا قد نسيناه - هو صاحب مذهب «الحقيقة المطلقة» الذي أطلق أتباعه الغاز السام في مترو طوكيو، وأعلنوا أن العالم يقترب من نهايته.

وآشارا هو مجنون بالتأكيد، ولكن كيف يستطيع رجل مجنون أن يجمع خلفه ما يزيد على ٣٠ الف عاقل، وأن يجعل من الجنون وباء جماعياً؟ ثم ما الذي يربط بين الجنس والوجبات السريعة؟

صديق زار اليابان وقضى فيها شهراً حاول أن يقدم تفسيراً لهذه الظاهرة الدمارية، فقال إن الرجل الياباني بطبعه يكره منزله، لذلك فهو يفضل أن يقضي معظم نهاره، وأحياناً بعض ليله، في المكتب أو في المصنع. ويشير الصديق إلى استطلاع للرأي، أجرته إحدى الصحف باليابان، طرحت فيه السؤال التالي: هل تفضّل أن تأخذ إجازة من عملك تقضيها مع زوجتك بالمنزل، أم أنك تفضّل زيادة أيام العمل... بعيداً عن الزوجة؟

وقالت الأغلبية اليابانية إنها تفضّل... العمل.

ومن هنا يقول الصديق إن الياباني يعتبر أن واجبات العمل تبقى أسهل من الواجبات الزوجية وملحقاتها، وبالطبع فإن الياباني الذي يرفض أن يقوم بدوام كامل في منزله، لا يمكن أن يقبل العمل «أوفر تايم» خارج عش الزوجية.

وبالتالي فإن آشارا وأتباعه يعتقدون أن أمريكا تريد تدمير مصانعهم ومكاتبهم... لتستبدل بها غرف النوم.

أما عن الوجبات السريعة فيشير الصديق إلى التشابه بين «ماكدونالد» الذي ينتج الهامبرغر بالمليارات في كل عام وبين شركة «ماكدونالد دوغلاس» التي تنتج الأسلحة وتحصد المليارات في كل يوم... ويقول إن هذه الوجبات يمكن بالفعل أن تقضي على اليابانيين لأنها يمكن أن تضاعف وزن الياباني، ومن المعروف أنه كلما زاد الوزن تباطأت الحركة، وخفّت الهمة... وصار همّ الياباني استعادة الرشاقة عبر الريجيم الذي سوف يضطر إلى استيراد صناعته من أمريكا.

ولا أعرف مدى صحّة تفسيرات الصديق للمسألة اليابانية، ولكن ما أعرفه أننا والحمد لله لا تنقصنا الفحولة ولا زيادة الوزن، وبالتالي فإن لدينا مناعة ضد الأسلحة السرية والعلنية!

يا منعم... ينعم عليك وعلينا

الرئيس الأرجنتيني كارلوس منعم هو رجل العام بلا منازع، على الصعيد الشخصي والصعيد الرسمي.

وشعب الأرجنتين «المجامل» هو بالتأكيد أكثر تقدمًا وتطورًا وانفتاحًا وتسامحًا من الشعب الأمريكي.

فالرئيس منعم المؤمن بمبدأ الاقتصاد الحر والسوق الحرة المفتوحة وسيلة للتخلص من التضخم والبطالة اختلف مع زوجته، بعد أن اتهمته علناً بأنه طوّر قناعاته الاقتصادية لتشمل علاقاته النسائية أيضا، وهددت الزوجة بالكشف عن أكثر من فضيحة إذا لم يرجع الرئيس إلى سياسة «الستار الحديدي»... في مواجهة النساء.

والرئيس صمد في قلب العاصفة، وطرد الزوجة «الأصولية»... وعندما عادت إلى القصر الجمهوري مع أمها وأسراب هائلة من الإعلاميين... رفض ببساطة أن يفتح لهما باب القصر... وانتصر على زوجته وحماته دفعة واحدة.

وللمرة الأولى منذ ٦٨ عامًا قرر شعب الأرجنتين أن يبايع الرئيس لولاية ثانية تمتد ست سنوات من الانفتاح الحر.

وكنت أعتقد أن خلف كل رجل عظيم امرأة، خاصة في الأرجنتين، فالزعيم الراحل خوان بيرون ارتفعت شعبيته بعد وفاته، عندما عادت زوجته السيدة إيفا بيرون من المنفى لتقود الحركة الديمقراطية في الأرجنتين في مواجهة العسكر...

ولكن الجنرالات المحاربين ربحوا الحرب، بكفاءة عالية. إذ اعترف احدهم أخيرًا فقال: كنا نخطف المعارضين، وبعد أن نشبع من تعذيبهم و«إقناعهم» بالاعتراف، كنا نطير بهم فوق البحر ونلقيهم من الجو، بعد أن نربطهم بأثقال تضمن أن يستقروا في القاع إلى الأبد... وبالطبع فإن هؤلاء الجنرالات الميامين خسروا حربهم ضد السيدة الحديدية رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر... ومعهم خسرت الأرجنتين جزرها.

بعد حرب فوكلاند قلت لنفسي إن السيدة تاتشر انتقمت للسيدة بيرون... وأن أختا للرجال سوف تظهر لتعود إلى حكم الأرجنتين... لأن تلك البلاد كما يبدو منذورة للنساء.

وتعزز اقتناعي عندما اختلف الرئيس منعم مع زوجته، وبدأت «الفضائح»، قلت في أحسن الأحوال إن الزوجة سوف تسمح له بأن يحكم الأرجنتين ولكن من «بيت الطاعة» خاصة أن الحزب البيروني الحاكم «ملغوم» بالقيادات النسائية، وقلت أيضا إن الرئيس بيل كلينتون مازال حتى اليوم يدفع ثمن «إشاعة» أطلقتها سكرتيرة سابقة عنده، عندما قالت إنه غازلها مرة و... راودها عن نفسها. وأن محاكمته سوف تستأنف بعد ولايته لأن الشعب الأمريكي لن يغمض له جفن إذا لم يعرف ما إذا كان الرئيس يحب المغازلة.

... وخاب فألي، فقد تجاوزت أخت الرجال في الأرجنتين عقدة الجنس، وتجاوز شعب الأرجنتين هذه «الأصولية» العاطفية الجديدة... وجدّد المبايعة للرئيس منعم...

... ولأن الرئيس منعم من أصل سوري، فهذا يمنحنا بعض «المدى الحيوي» في منازلنا التي لا تبخل علينا بالجنرالات...

ويا منعم... الله ينعم عليك وعلينا أيضا.

الحب أعمى فعلا

تقول العرب إن «الحب أعمى» أي أن العاشق لا يرى في المحبوب حتى العيوب الظاهرة، وكثيرا ما يشكو العشاق، بعد الزواج، من أنهم كانوا «مغمضين» عندما علقوا وتعلقوا، ويبالغ بعضهم فيزعم أن الزواج يفتح العينين، وربما كان هذا صحيحا في العينين وفي «الجيبين» أيضا بعد أن ضربت تكاليف الزواج أرقاما قياسية، وبات الدخول في القفص الزوجي أصعب من الخروج من بغداد.

وكنت حتى مرحلة متأخرة أعتقد أن استخدام هذا المأثور الشعبي يقتصر على «الحماة» و«الضرة» وملحقاتهما، في الانتقام من «الأخرى»، تمهيدا للكشف عن عيوبها التي عمى الحبيب عنها. ولكن دراسة طبية ظهرت في الغرب أخيراً أثبتت علميا أن الحب يعمي البصر فعلا وواقعا.

تقول الدراسة إن العشق المفرط، وتواصل الحبيب مع حبيبه، يؤديان أحيانا إلى انفجار شرايين العيون وخلاياها مما يسبب للعاشق أو العاشقة عمى، يمكن أن يستمر شهورا، هذا في البداية، أما إذا استمر العاشق في الإفراط بالحب، فإن هذا الإفراط يمكن أن يؤدي إلى أن يصبح العاشق أعمى إلى الأبد.

ولا تحدد الدراسة مقياس الإفراط الغربي، ولكن بالتأكيد سوف يكون معتدلا مقارنة مع شرقيتنا المتطرفة، وخاصة في الحب، أقول هذا عن اقتناع ميداني؛ فقد زرت معظم دول العالم، وسمعت كثيرا من اللغات

الحية، ولكنني لم أسمع أحدا من العشاق الغربيين ينادي حبيبته قائلا: ياعيوني. أو.. يابعد كيدي، أو يا قليبي... وكلها تكشف أن الحبيب يساوي - إن لم يكن أغلى - العينين والكبد والقلب... وكل جوارح الحب الأخرى.

وبالتأكيد فإن مجتمعات العالم الثالث لن تتوقف عن الإفراط في الحب، حتى ولو أدى إلى العمى، ولكن مشكلة هذه الشعوب تبدأ عندما تعشق «قائدها» وتفرط في هذا العشق بحيث يستمر عقودا، وعندئذ يمكن أن تصاب بالعمى، بينما القائد يطلب منها «أن تفتح عيونها على المؤامرات».

ربما كان «الحب العذري» هو الحل، اي الحب «من بعيد» فهو يحفظ البصر والبصيرة مع أن السوابق الغرامية لا تشجع على هذا الاتجاه سواء عند جميل بثينة أو عند مجنون ليلى، إذ إن كليهما كان عذريا، ومع أن أحدا منهما لم يفقد بصره إلا أنه فقد عقله، ولعل فقدان العقل في العالم الثالث هو إحدى الراحتين.

كأنك تلحس.. المبرد

لست خبيرا اقتصاديا ولكن الاعتقاد كان يلازمني منذ طفولتي - ومازال - بأن الدول الفقيرة لا تملك ما تعطيه للعالم إلا.. فقراءها.

و لكن الاقتصادي العالمي «مهران جافنا»، وهو من أبرز المحللين لأسواق المال، اقترح على أصحاب الأموال في نشرة تحمل عنوان «التفرد» أن يحملوا أموالهم إلى أسواق الدول الآتية، وعلى وجه السرعة: الهند، تشيلي، البرازيل، تايوان، وكوريا الجنوبية. يقول مهران: «إن أرباح الأسهم في أسواق هذه الدول تزيد بمقدار الضعف من الأرباح في أسهم نيويورك، أو طوكيو، أو لندن، أو سويسرا..».

والاقتصادي مهران يطلق هذه الدعوة من كندا، حيث يرأس شركة للأبحاث حول «الأسواق الجديدة» في العالم، ومع انني لا أعرفه ولكن خطر لي أنه «متعصب» للعالم الثالث، وإلا فهل من المعقول أن يحمل الياباني «يناته» وأن يحولها إلى الروبية، كيف يصرفها في أسواق بومباي و.. يربح؟ وماذا عن «عمنا» البريطاني الذي وضعنا عنده «أموالنا المنقولة وغير المنقولة» على أمل أن نستعيدها مضاعفة في يوم ما؟.

صديق اقتصادي في جامعة الكويت أقنعني بأن مهران على حق، قال إن التوظيف في الأسواق القديمة، مثل لندن، ونيويورك، وزيوريخ، هو عملية أفضل وصف لها هو «أنك تلحس المبرد»، وقصة القط الذي كان يلحس المبرد معروفة، فهو كان يستمتع بطعم الدم، ولم يكن يعرف أنه

دمه، وكذلك المستثمر في تلك الأسواق، فهم يعطونه فائدة، ولكن الدولار الذي تدفعه اليوم يفقد ربع قيمته الشرائية بعد سنتين، ونصف قيمته بعد ٤ سنوات، وبعد ٨ سنوات تخسره كله، فإذا تضاعفت قيمة الأسهم خلال هذه الفترة، تكون قد استعدت دولارك كما وضعته، أما إذا ارتفعت بنسبة ٥٠ في المائة فتكون قد خسرت نصف ما استثمرته. ومن دون أن تشعر، فهم يقولون لك إنك ربحت!.

ويقول صديقي الاقتصادي إن الأسواق الجديدة في العالم النامي تمنح المستثمر فرصا حقيقية للربح، وفي مدى زمني أسرع، لأن النمو الاقتصادي لهذه الدول، قد يصل إلى ٨ في المائة في العام، بينما لا يزيد على ٤ في المائة في العالم الصناعي..

إذن، هل بدأت الهجرة المعاكسة؟ أعرف أن الأموال كانت تهاجر من العالم الثالث إلى العالم الأول، اليوم يحدث العكس، ولكن المشكلة أن كثيرين «أدمنوا» لحس المبرد..

أنا لا أملك ما استثمره، ولكن أعتقد أنه حان الوقت لأتعلم الماليباري... و.... نلتقي في الهند.

كلام في الرقص

جريا على العرف القائل إنه ليس المهم الموضوع ولكن المهم هو كيفية الحديث عنه، أنتهز الفرصة لأكتب على صفحات «العربي» الوقور عن.. الرقص الشرقي.

لم لا ؟! فهذا الفن مع الأسف الشديد يعجب به الكثيرون منا دون أن يجرؤوا على إظهار ذلك باعتباره فنا رخيصا.. والبعض الآخر ينادي باستئصاله تماما لأنه لا يحض إلا على الفساد ولا يثير سوى الشهوة. وحتى الآن لم يجد هذا الفن المظلوم من يحسن الدفاع عنه. وسبب ذلك أن اللواتي يقمن بممارسته من كبار الراقصات لسن على قدر كاف من الثقافة يؤهلهن للقيام بهذا الدور. فمعظمهن - ولا فخر - تركن الدراسة منذ سنواتها الأولى، وبدأن تجاربهن وسط الأفراح والليالي الملاح، فتقلبن بين الموالد وتجار الرقيق الأبيض وعلب الليل الرخيصة قبل أن تواتيهن أضواء الشهرة.. أي أنهن - بقول أكثر تحفظا - قد تخرجن من مدرسة الحياة، وهي مدرسة - برغم غناها - غير معترف بشهاداتها.

وكأن الأمر كان في حاجة إلى انتقال هذا الفن إلى حضارة أخرى، وإلى عين غير متحيزة تراه بعيدا عن الضغوط الاجتماعية التي ترفضه وتحط من شأنه. ففي السنوات الأخيرة انتشرت موضة الرقص الشرقي في أوروبا، ولم يقتصر الأمر على المحترفات ولكنه تعداهن إلى النساء العاديات عن طريق عشرات من مدارس تعليم الرقص التى انتشرت في كل مكان. لقد وجدن في هذا الفن خلاصة الأنوثة التي تجمع بين

الترفع والسلطة والرقة والقوة معا. على حد تعبير المستشرقة البريطانية «وندي بونا فنتورا» التي احترفت هذا النوع من الفن فترة من الزمن ولا تستطيع إخفاء حماسها له. بل أنها ـ كعادة العقل الغربي ـ أخضعته للتحليل والتنظير، فهي تعقد مقارنة خطيرة بينه وبين الفن الأرفع في الثقافة الغربية «الباليه»، الذي يعتمد على تقديم صورة رقيقة وهشة للمرأة، التي لا تكاد تلمس الأرض إلا في قفزات سريعة متلاحقة كأنها تريد أن تتحول إلى مخلوقة سماوية، خفيفة الوزن لدرجة تتحول فيها إلى كائن عظمي، يستطيع فيها زميلها أن يحملها بسهولة. إنه نوع من عقاب الجسد والرغبة في الألم والتطلع إلى الروحانية، بعكس الرقص الشرقي الذي يحتفي بهذا الجسد، ويمنحه نوعا من الثبات على الأرض ويناسب كل الأعمار وكل الأحجام. والأداء فيه ينبع من داخل المرأة نفسها دون حاجة إلى شريك يقود خطواتها، مما يعطيها القدرة على الابتكار والثقة بالنفس. كما أن الحركات والاهتزازات المتصلة للجسم تولد فيه حالة أشبه بالتنويم المغناطيسي مقاومة للاكتئاب، وتوقظ الإنسيابية الكامنة فيه داخل المرأة العديد من الأنماط.. نمط المرأة الأم، واللعوب، والشاعرة، والمليئة بالشهوة والحيوية.

ماذا يمكن أن نقول عن الرقص الشرقي بعد ذلك؟.. هل يمكن أن ننظر إليه كفن رخيص أو أن العيب ليس في الفن بل في الذين يمارسونه..؟.

القتل للقتل أم للأكل؟

«السباق إلى جاوة» هو عنوان حرب ضروس تدور بين جمعيات البيئة وحقوق الإنسان من ناحية، ومئات الجمعيات الخيرية والتبشيرية والاجتماعية من ناحية أخرى. فقد حملت الأنباء من جاكرتا، عاصمة إندونيسيا، قبل أسابيع، أنه تم اكتشاف قبيلة بدائية في جزيرة جاوة، أفرادها مازالوا عراة - ربي كما خلقتني - وهم يعيشون فوق ذرى الأشجار.. والأهم من ذلك أنهم يأكلون لحوم خصومهم، يعني من أكلة لحوم البشر.

وبعد إذاعة النبأ، استنفرت الجمعيات الخيرية والتبشيرية والاجتماعية أعضاءها، وقررت أن تكون السباقة لوقف المجزرة، إذ ليس من المعقول أن يأكل الإنسان في القرن العشرين لحم أخيه نيئاً، بل وحتى لو كان مشويا، فالحضارة تمنع هذه الوحشية، والقيم الإنسانية لابد أن تسترد تلك القبيلة الضائعة في مجاهل الغابات، وأن تعلم ابناءها كيف يأكلون بالشوكة والسكين، وأن يرتدوا بيير كاردان كي يغطوا عورات نسائهم ورجالهم وأطفالهم.

جمعيات المحافظة على البيئة وحقوق الإنسان هبت لمواجهة العاصفة، قالت إن القبيلة المنسية تعيش في بيئتها الطبيعية، وبالتالي تخترع القوانين التي تتوافق مع تلك البيئة من دون أن تدمرها، وهذه القبيلة محبة للبيئة إلى حد أنها تسكن الأشجار بدل أن تقطعها وتحولها إلى مساكن جاهزة.

منظمات حقوق الإنسان رفعت شعار حقوق الأقليات، وكشفت أن من حق القبيلة أن تعيش ثقافتها الخاصة، وأن تمارس طقوس آبائها وأجدادها، وأن تحكي لغتها، وحتى أن ترفض إخفاء عورات أعضائها، عملا بشواطئ العراة التي تغطي بقعا واسعة من بحار أوربا وأمريكا في العصر الحاضر.

والسباق إلى جاوة مستمر بين الفريقين، واحد للوصول والثاني لمنع الأول من الدخول إذا وصل، أما عن موقفي الشخصي، فإنني أعلن أنني منحاز وبشدة إلى جمعيات البيئة وحقوق الإنسان، بما فيها الموافقة على وجبة القبيلة من لحوم البشر. وهذا الانحياز ليس نتيجة لحالة نفسية أو مزاجية تراودني، كما تراود آخرين لانتهاش بعض الناس، ما دمنا لا نستطيع إلقاءهم للوحوش. وصدام حسين وولداه هم نموذج فحسب، بل إن هذا الانحياز للقبيلة البدائية، هو نتيجة حسابات باردة تهتم بمصير الإنسان وحياته ومستقبله، إذ إن القبيلة، إذا قررت أن تأكل خصومها فإنها في أحسن الحالات لن تتناول من لحوم هؤلاء الخصوم أكثر مما يشبع البطن وهو قليل، خاصة أن أبناء تلك القبيلة لا يعرفون الثلاجات ولا البرادات لحفظ لحوم أعدائهم، أما فيما لو تم استعادة تلك القبيلة للحضارة فإنها بالتأكيد لن تعود تهتم «بالقتل للأكل» بل بالقتل للقتل، وسوف تعمل على إبادة خصومها وتركهم في البراري طعاما للوحوش، كما يحدث في البوسنة والهرسك وبعض أفريقيا، وبالتالي فإن عدد القتلى سوف يزداد على أيدي أفراد القبيلة، من دون أن يكون لهؤلاء القتلى أي قيمة غذائية...

وفي هذا تبذير شديد (١)

عصر الصورة

من يتتبع الأعداد الأخيرة من «العربي» فسوف يلحظ بلا شك ذلك التطور الذي حدث لها بالنسبة لاستخدامها للصورة. وقد سألت المشرف الفني للمجلة عن حجم هذا التغيير. فقال إنهم كانوا يستخدمون في العدد الواحد حوالي ٣٠ صورة، أما الآن فإن جملة الصور المستخدمة تصل إلى ما يزيد على مائتي صورة. وفي الماضي كانت العربي تطبع وفيها ملزمتان ملونتان أما الآن فهي ملونة من الصفحة الأولى حتى الأخيرة. وهذا التطور لا يخص العربي وحدها ولكنه جزء من طبيعة العصر الذي نعيش فيه. لقد كان في الصورة سحر ولكنها الآن اكتسبت قوة وفاعلية جديدتين. وبرغم أن العربي ليست مجلة خبرية وإنما تعني بنشر المقالات والدراسات، فإنها لم تستطع أن تنفصل عن زمنها وعصرها، عصر الصورة.

ولكن متى بدأ هذا التأثير في الظهور؟ هل بدأ مع حرب تحرير الكويت التي كانت أول حرب تلفزيونية كما يقول العديد من خبراء الإعلام، أم أنها بدأت قبل ذلك حين شاهدنا الطلبة العزل وهم يواجهون الدبابات في ميدان البوابة السماوية في بكين، أم بدأت مع المظاهرات التي توالت حتى أسقطت كل الأنظمة الشيوعية في أوربا الشرقية، أم أنها بدأت قبل ذلك بكثير مع حرب «فيتنام» عندما قامت الصورة بفضح هذه الحرب وأظهرت الجنود الأمريكيين وهم غارقون عاجزون في حقول

الأرز الأمر الذي غير موقف المجتمع الأمريكي تجاه هذه الحرب وأشعل المظاهرات المناهضة لها وكان الرئيس الحالي «كلينتون» أحد المشاركين في هذه المظاهرات؟

الصورة.. الصورة. إنها السلاح الجديد الذي ساهمت في صنعه عشرات الأقمار الصناعية وأجهزة الاتصال الفورية ومئات المصورين الموجودين دوما في مواقع الأحداث كأنهم كانوا يتنبئون مقدما بمكان وزمان الحدث. إنها الصورة التي يتشارك الجميع في رؤيتها في وقت واحد والتي لم تعد حكرا على الحكومات وصناع القرار. كما أنها لم تدع مجالا للخداع أو التلاعب بالألفاظ أو الانتظار للتحقق من الأمر.

وبقدر ما كانت الصورة حقيقية فقد كانت قاسية أيضا، فقد أظهرت بشاعات العالم الذي نعيش فيه. لقد أصبح اللحم البشري عاريا ومخجلا أمام مشاهد الجوع والذبح في إفريقيا، وحرب الإبادة في البوسنة والهرسك والتكسير اليومي لعظام الأطفال في الأراضي العربية المحتلة. لم يعد يدهشنا اي شيء. وأصبحنا نشاهد العشرات من أفلام القسوة والفزع دون أن تهتز شعرة واحدة في رءوسنا، لأننا نشاهد يوميا في نشرات الأخبار ما هو ابشع. ففي كل مرة يظهر المذيع ليقول لنا في المقدمة «مساء الخير» ثم لا يذكر اي خير على الإطلاق.

إنها قوة الصورة التي تبرز اجمل ما فينا كبشر وأسوأ ما فينا أيضا.

تصوِّت أو لا تصوِّت ؟

ونحن على أبواب انتخابات نيابية جديدة في ديرتنا العامرة «الكويت» يثور هذا السؤال القديم الجديد: متى تأخذ المرأة حقها في التصويت؟ البعض يعلق ساخرا على هذا التساؤل.. إن النساء يرفعن علينا أصواتهن داخل المنزل ولم يبق إلا أن يرفعن أصواتهن داخل المجلس أيضا. والبعض الآخر يؤكد أن المرأة تنساق كثيرا وراء عواطفها أكثر من عقلها وبالتالي سوف تنظر أولا إلى وسامة المرشح قبل أن تنظر إلى برنامجه الانتخابي. وبما أن معظم مرشحينا - والحمد لله - يتمتعون بالوسامة ولا يملكون برامج انتخابية فسوف تكون الحيرة كبيرة.

وبعيدا عن التعليقات الساخرة التي هي ذات طابع ذكوري بحت والتي ترى أن السياسة هي بالأساس لعبة الرجل، وبعيدا أيضا عن القول السائد إن التطور المادي في دول الخليج قد شهد طفرة كبيرة بينما بقيت العلاقات الاجتماعية على حالها من التحفظ، يمكن القول إن دخول المرأة إلى ميدان السياسة كان ولا يزال مسألة غاية في الصعوبة في العالم كله. ففي بلادنا العربية العامرة بالديمقراطية لا تتجاوز نسبة تمثيل المرأة أكثر من ٣,٥٪ أي أنها أقل من الدول الأفريقية التي تصل النسبة فيها إلى ٩٪، وهي طبعا أقل بكثير من النسبة الأوربية التي تبلغ من ١٦ إلى ٢٠٪.

السياسة غابة موحشة - هكذا يعترف كل من مارسها - فهي مجال للتنافس في الظاهر وللضرب تحت الحزام في الباطن. وكل اللواتي

مارسنها قد أخذن بعضا من قسوة الرجال، بل كن أكثر منهن صرامة حين قمن باعلان حروب لم يجرؤ الرجال على إعلانها . راجع أنديرا غاندي وجولدا مائير وتاتشر. لذلك تتفاوت النظرة إلى المرأة بين الذين يرون حرمانها من التعليم لأن رحمها يمتد إلى عقلها، وبين الذين يرون أن المرأة نصف البشرية، لذا يجب أن تنص التشريعات على أن يكون نصف المرشحين من النساء، أي أن تكون لهن «كوتة» ثابتة لا تتغير. ولكن من يأخذ بهذا الاعتبار؟ بعض الأحزاب الأوربية فعلت ذلك ولكن بنسبة أقل من النصف بكثير. وفي «نيوزيلندا» أنشئ أول حزب يهدف، فقط، إلى كسر احتكار الرجل للحكم، ولكن المدهش أن هذا الحزب الذي بدأ شرسا قد تحول عن أهدافه السياسية ليهتم بالأمومة ومشاكلها وبالتالي دعم وجهة نظر الذكورية التي ترى أن المرأة ستحول البرلمان إلى بيتها الخاص تناقش فيه مشاكل الطبخ وتربية الأولاد.

وبرغم ذلك؛ فالمرأة الكويتية في حاجة إلى هذه الدفعة القوية، في حاجة إلى النظر إليها ككيان مستقل. وهي في حاجة إلى التصويت بقدر ما نحن في حاجة إلى صوتها، لأن وجودها في المجلس سواء في الكويت أو في بقية بلادنا العربية التي تفتقر إلى الوجود الديمقراطي والوجود الأنثوي سوف يلفت أنظارنا جميعا إلى قضايا حيوية لم نكن نشعر بوجودها.

شهر.. عسل

العلاقات الإنسانية في نهاية القرن العشرين باتت أقرب إلى خلية نحل كونية ولكن... من دون عسل!

لنأخذ مثلاً قصة تلك العصابة النسائية التي تم اكتشافها في أمريكا والمكسيك أخيراً. كانت هذه العصابة - ووفقاً لوكالات الأنباء - تقوم بغواية الرجال، وتدعوهم إلى احتفالات في جزيرة مكسيكية، ثم إذا تبين لإحداهن أن عاشقها لا يقوم بالواجب تماماً... تقتله.

وقالت وكالات الأنباء إن أفراد العصابة هن من نساء المجتمع الراقي.

ألا تذكرنا حالة هذه العصابة بذكر النحل «اليعسوب»؟، فهذا الذكر يدخل الخلية، وبعد أن يقوم بواجباته كذكر، ويؤدي المهمات المطلوبة منه في حفظ النسل، تتعاون العاملات على قتله، والفارق بين العصابة النسائية وخلية النحل، هو أن العصابة تلغي أجمل أحلام الرجل في قضاء «شهر عسل» مع محبوبته. فالمحبوبة هنا لا تكتفي بأن تمتص عسل الرجل حتى آخر قطرة.. بل هي تلتهمه لحماً وعظماً (١).

ولنأخذ حكاية الأمير تشارلز وزوجته المنفصلة عنه ديانا. اعترف الأمير بأن عسل زوجته لم يكن على مزاجه، لذلك فهو انتقل إلى خلية أخرى أكثر حلاوة. وردت ديانا علناً بأن زوجها يعاني نقصاً في العسل، وأنه حال انتهاء شهر عسلهما باتت مضطرة إلى متابعة نشاطاتها خارج الخلية الزوجية... بحثاً عن العسل غير الملكي، أي الشعبي!

الخيانة ليست جديدة، فعمرها من عمر التاريخ، وهذه قيصرة روسيا كاترين الكبرى كانت تختار جنرالاتها، بعد أن تجربهم في السرير، فإذا أفلحوا، أطلقتهم لفتح البلدان وزيادة رقعة الإمبراطورية و... السرير. ولكن ما هو جديد في اعترافات «أمير الانتقام» ـ كما وصفت بعض الصحف ديانا ـ هو أن مساحة الإمبراطورية التي لم تكن تغرب عنها الشمس باتت في مساحة «السرير».

وسقطت أسطورة العسل الملكي ومعها .. شهر العسل.

عنف وعنفوان

رفضته صديقته فأحاط نفسه بحزام ناسف ووقف في وسط الشارع ولم يكتف فقط بتفجير نفسه، ولكنه فجر معه أيضا خمسة من المارة قادهم حظهم للسير في طريق العاشق التعس. خبر عادي من مدينة صينية اشتهرت بالهدوء وضبط النفس. فما رأيكم - دام فضلكم - فيما يحدث في بقية البلاد التي استشرى فيها العنف وانفلت من عقاله، فالفرد لم يعد يكتفي بقتل غريمه كما كان يحدث قديما، ولكنه يقتل هذا الغريم وأكبر عدد ممن يحيطون به. بل إن مقاتلي الرأي الآخر لا يوجهون ضرباتهم إلى أحد محدد بعينه ولكنهم يعتبرون كل فئات المجتمع غرماء لهم. لذا يضعون السيارات المفخخة وسط الشوارع المزدحمة بأعصاب باردة. ويحيطون أطراف المجمعات التجارية بالمتفجرات وتتصاعد في داخلهم نزعات الاستشهاد الزائفة حين يقتحمون بأجسادهم الأماكن الحصينة فيقتلون أنفسهم قبل أن يدمروا المكان ومن فيه. كل هذا يحدث في مجتمعات من المفترض أنها خالية من الحروب. أي أن ما يحدث هو جزء من أحداث الحياة اليومية. فما الذي جعل العنف أكثر عنفا؟

لم يكن العالم عادلا في يوم من الأيام. ولم تختف منه أسباب البؤس والاستغلال والتسلط والعنصرية والإجحاف والشره والأنانية. ولم تخل أي فترة من الذين يتمردون على النظم السائدة. لذلك فمن غير المجدى

التعلل بضغط الظروف التي صنعها الفساد السياسي أو الأزمات الاقتصادية أو الانهيار الاجتماعي. فقد كانت هذه الأسباب موجودة بنفس الدرجة من الحدة دون أن يقابلها هذا العنفوان. ما هو المتغير الذي أضيف إلى عصرنا ولم يكن موجودا في العصور السابقة. هل هي التكنولوجيا، العنصر الوحيد الذي لم يتوقف عن التطور برغم تداعي الأفكار والثورات والإمبراطوريات. هل هي التي سهلت عمليات القتل الجماعي وجعلت استخدام الأسلحة والمتفجرات أكثر تحققا وأشد فتكا؟. أو لأنها أشعلت كل تطلعات المحرومين الذين يعلمون في مواجهة المترفين الذين لا يعلمون. أو لأنها أقامت من نفسها سلطة فريدة في موازاة وربما في مواجهة السلطة الأخلاقية والروحية. أو أن سبب هذا العنفوان يعود إلى فقدان العديد من المؤسسات السطوة التي كانت تحد من جماح الإنسان بدءا من مؤسسة الأسرة التي تفككت نواوياتها، وفقد أبناؤها الانتماء إلى قيمها التقليدية، إلى المؤسسة التعليمية التي فقدت احتكار نقل العلم والمعرفة، وأصبح هناك من ينافسها في غرس القيم بطريقة أفدح تأثيرا، إلى مؤسسة الدولة التي فقدت هيبتها وتحولت في بعض الأحيان إلى محاربة مواطنيها بدلا من أن تكون قيّما عليهم. أو أن السبب يكمن في ضعف الرادع الديني والروحي في وجه طغيان المادة وهيمنتها؟. ذلك الردع الذي جعل إحدى شخصيات «ديستوفسكي» تصرخ ملتاعة: «إذا لم يكن الله موجودا فكل شيء مباح» فهل يعني هذا أن الضمير المعاصر قد مات وأن على صناع العنف أن يؤكدوا ذلك بالمزيد من العنف؟!

إن العلم الآن يحاول الدخول إلى هذه المنطقة الخطرة والغامضة من بنية الإنسان. فعلى سبيل المثال تبين أن سبب هذه الردات العنيفة من

الفعل والجنوح يعود إلى زيادة إفراز هرمون «السيسترون» بدرجة عالية ويرغم أن المشكلة ليست بسيطة فإن العلماء يأملون انه من خلال التحكم في هذا الهرمون يمكنهم التحكم في كل النوازع الإجرامية والوصول إلى عالم بلا سجون. إننا لا نبالغ مثلهم في هذا الحلم، ولكننا نأمل فقط في عالم أكثر هدوءا وأقل عنفوانا.

صفقة البابا

كان بابا الفاتيكان يختتم عظته بالصلوات المعتادة «أعطنا خبزنا كفاف يومنا» عندما تقدم منه شخص أنيق وهو يقول: «أنا مندوب شركة كنتاكي للدجاج المقلي ونحن على استعداد لمنح الكنائس الكاثوليكية مبلغ ١٠ ملايين دولار إذا وضعت كلمة دجاجنا بدلا من خبزنا في نهاية العظة» وفكر البابا قليلا ثم رفض العرض. وبعد أسبوعين عاد الرجل يكرر العرض بعد أن رفع الرقم إلى ٥٠ مليون دولار وفكر البابا أكثر هذه المرة، ولكنه رفض مرة أخرى. وبعد شهر عاد الرجل وقد رفع الرقم إلى ١٠٠ مليون دولار وهنا لم يفكر البابا وقبل العرض على الفور. وعقد اجتماعا مع الكرادلة وقال لهم عندي انباء طيبة وأخرى سيئة، الأنباء الطيبة أننا سوف نكسب ١٠٠ مليون دولار والسيئة هي أننا سوف نخسر عقدنا مع شركة «وندر» لتوزيع الخبز.

هذه الطرفة اختارتها شبكة «الإنترنت» العالمية كأفضل طرفة لعام ١٩٩٥، وهي إن لم تكن تثير القهقهة حسب ذوقنا العربي في التنكيت فإنها لاذعة، خاصة وهي تكشف عن ذلك الحلف غير المقدس الذي يقيمه البعض أحيانا بين الدين والتجارة وكيف أن الاقتصاد أصبح العصب المحرك خلف كل شيء حتى العظات الربانية، كما تبين الحرب التجارية الشرسة التي أصبحت تدور بين الشركات العملاقة والدول التي تساندها وقد أصبحت هذه الحرب هي البديل للحرب الباردة، لم تتغير درجة الشراسة فيها وإن أصبحت تدور بين حلفاء الأمس.

وبعيدا عن التخريجات السياسية فالطرفة جريئة، وهي تستمد هذه الجرأة من حس النقد الديني الذي ساد أوربا منذ عصر النهضة، حيث لا يوجد مقدس في كل ما هو بشري. ولا يعني هذا أن أوربا قد أصبحت أقل تدينا، ولكنها تحاول أن تكون أقل تعصبا وأن ترى الأمور بعيون مفتوحة، فهي لا تلقي بعبء كل شيء على السماء ولكنها تحاسب البشر.

ترى هل نملك نحن الحس النقدي والقدرة على الفصل بين ماهية الدين وتصرفات القائمين عليه؟ أو أن الخوف من النقد سوف ينشف روح الفكاهة في عروقنا؟!

جسر جوي

الصحفي البريطاني جون بولوك في كتاب عن دول الخليج صدر قبل أعوام سخر من أهل الخليج بوقاحة لأن الواحد منهم «يبني حظيرة للأغنام والأبقار والجمال والدجاج أمام منزله.... ومع كل هذا لا ينسى أن ينصب خيمته».

وبعد أن عصف «جنون البقر» برعايا صاحبة الجلالة، بقراً وبشراً، شعرت بالشماتة بزميلنا البريطاني وربعه.. إذ إنه لو حذا حذونا، وأقام في حديقته «قنا» للدجاج، أو ربط خروفاً على باب بيته، أو زرع شتلة طماطم في حديقته.. ربما كان اكتشف متعة أهل الخليج، وأهل الريف العربي المترامي، وهم يجمعون البيض البلدي صباحاً، ويذبحون الخروف أو التيس أو الحوار - الجمل الصغير - في مآدبهم العامرة بكل ما هو بلدي.

مع ذلك فإن «جنون البقر» ليس مشكلة للإنجليز وحدهم، لأننا مضطرون - كما نعرف جميعاً - أن نشدّ الرحال إليهم، في رحلة الصيف.. التي لا يقصر بعضنا في أن يجعلها رحلة للصيف وللشتاء أيضاً.

والسؤال هو: ماذا سنأكل، قبل أن تنطلق نساؤنا إلى «أكسفورد وريجنت ستريت» وكل حواضر التبضّع إلى حد الجنون؟

البيض؟ احذروا السلامونيلا، ومثله الدجاج. الغنم؟ هو الأساس، ومنه حصل البقر على جنونه. وماذا عن السمك؟ الحكومة البريطانية

تقـول إن هناك ٣٣ نهـرًا وبحـيـرة لا تؤكل أسمـاكـهـا نهـائيًـا، أمـا البـاقي فـيـمكن أن يأكل الواحـد منهـا نصـف سـمكة في الأسـبـوع، لأنهـا مـلوثة بالزئبق. وهو القانون نفسه الذي ينطبق على البط والأوز وكل ما يحمل جناحين.. ومـعـروف أن هذه الطيـور تحـمل في لحـمـهـا من المبـيدات ما يكفي لإبادة أمة بكاملها.

إذن .. لا لحـوم. وننتـقل إلى الخـضـراوات والفـواكـه، ونصـيـر نبـاتيين «نرعي» وأطفالنا في «الهايد بارك» بعد كل جولة «شوبننج».

«الخضراوات الغربية تعيش على الأسمدة الكيماوية وعلى المبيدات» هذه حقـيـقـة معـروفـة، بالطبع يمكن للواحـد أن يأكل حبـة طمـاطم مع بضع وريقـات الخس مـن دون أن يتـسـمم، ولكن أن يتـناول ثلاث وجـبـات يوميًا من الخضـراوات الكيماوية.. فإن النتيجة سوف تكون كارثة، خاصة أن تحـقـيـقًـا نشـر أخـيـرًا في مـجلة أمـريكيـة يكشـف أن هذه الأسـمـدة الكيماوية تلتهم الحيوانات المنوية عند الذكور.. تقضي على فحولته!

إذن هل نلغي رحلتي الصيف والشتاء إلى عاصمة صاحبة الجلالة؟ مستحيل. هذا ما تهتف به نساؤنا بجميع وسائل التعبير: من الكلمة إلى النظرة إلى باقي الأسلحـة المناسـبـة. وأعـتـقـد أن أحـد الحـلول المطروحة هو إقامة جسر جوي يحمل إلينا الهامور والذبائح وباقي ما تعودناه.. أو نقترح على ربعنا الإنجليز أن ينصبوا الخيام أمام منازلهم ومعها حظائر الدجاج والغنم.. والإبل وكل الذي مازال يحمل بقية من عقل.. وأن يتخلوا عن قططهم وكلابهم (١).

هل هناك حلول أخرى؟ ننتظر الإجابة!

غزو من الفضاء.. أم من الأرض؟

(هبط الطبق الطائر بلون الفضة، وخرج منه مخلوقان صغيران بلون الفضة أيضا. كان أول من شاهدهما أختان عانستان حسبتاهما عريسين قادمين للزواج، وعندما تبينتا أنهما مخلوقان من الفضاء الخارجي صرختا من فرط خيبة الأمل لا من الفزع، وانتشر الخبر في المدينة الصغيرة فدوت صفارات الإنذار وتدافعت سيارات الشرطة، حاصرت المكان وأمرت المخلوقات بالاستسلام، ولكن المخلوقات الصغيرة ذات القوة الخارقة ضحكت في سخرية، وحين أطلقت الشرطة عليها الرصاص توقفت الطلقات جامدة في الهواء، وجاءت قوات الجيش تتقدمها الدبابات، لكن القذائف أيضا توقفت، بل إن الدبابات بلمسة واحدة من مخلوقات الفضاء طارت بعيدا لتسقط وسط الطرق المزدحمة. وفي النهاية هتف قائد الجيش يائسا.. «حسنا ما هي شروطكم للاستيلاء على العالم..» ورد عليه أحد المخلوقات مدهوشا .. «ومن قال إننا نريد العالم.. كل ما نريده قطعة ساخنة من «البيتزا»...).

هذه القصة القصيرة الساخرة تنهي موجة كبيرة من أدب الخيال العلمي الذي ساد العالم منذ مطلع الخمسينيات. كلها قصص ورؤى عن تلك المخلوقات البشعة الخضراء اللون غالبا، التي تمتلك قوى خارقة ولا هم لها إلا غزو العالم وتحويل سكانه إلى عبيد عندهم. موجة انتشرت عبر عشرات الكتب والأفلام والمجلات المصورة كأنها حمى أصابت الجميع، ولم يتوقف الأمر عند الخيال ولكن تعداها إلى مئات من شهود

العيان الذين كانوا يقسمون كل يوم أنهم شاهدوا الأطباق وهي تهبط والمخلوقات وهي تتسلل. حمى تصاعدت سخونتها مع تصاعد الحرب الباردة وحملت في دلالتها ذلك الخوف من المعسكر الآخر الذي يسكن معهم على نفس الأرض متحصنا خلف الستار الحديدي. كانت هذه هواجس الخوف من الغزو السوفييتي لأوربا. وهو خوف كان مليئا بالمبالغة من انتشار الخطر الشيوعي. ومن التهديد النووي بالفناء ومن فقدان الإنسان الغربي لحريته، وكانت أمريكا بما لديها من وسائل الدعاية والإبهار تزيد من حدة هذه المخاوف. فقد كانت تبحث دوما عن طرف تلعب معه دور الخصم، تحاربه وتهدد به الآخرين. ولعل هذا البحث ما زال قائما حتى الآن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

ولم تكن الهواجس وقفا على العقل الغربي وحده. فقد عانى المعسكر الشرقي هو أيضا منها وامتلأت الأدبيات والأفلام بقصص مصاصي الدماء كناية عن الرأسماليين الذين يمصون دماء البسطاء. وامتدت المخاوف إلى اليابان فامتلأت أفلامها بالوحوش العملاقة والديناصورات العائدة من قلب التاريخ بعد أن أيقظتها الإشعاعات الذرية وجعلتها أكثر توحشا. وتختلف الكوابيس اليابانية عن الهواجس الغربية بأنها مبنية على الواقع. فالوحش الذري قد استيقظ بالفعل في أراضيهم وأصاب نجازاكي وهيروشيما بلعنة مازالت آثارها موجودة حتى الآن.

ولقد حاول الكثير من الكتاب والفنانين التصدي لهذه الحمى. وربما كان المخرج ستيفن سبيلبرج هو أول من تنبأ بزوال كابوس الحرب الباردة حين صنع فيلمه الشهير «إي.تي» فهذا المخلوق القبيح الذي هبط من الفضاء ضائعا ومسكينا لم يكن يحمل أي سلاح مدمر، بالعكس كانت لمسته شافية من الأمراض وأنفاسه كفيلة ببعث الحياة في الأزهار الميتة. لقد تحول المخلوق الفضائي إلى طفل تائه لا يريد أكثر من العودة إلى

بيته. مثلما تحول الوحش «كنج كونج» إلى عاشق من طرف واحد. كانت هذه الأفلام هي دعوة للمصالحة مع الخوف الكامن داخل الذات ونزع الأوهام والهواجس، فلا يمكن أن تصالح الآخرين دون أن تصالح نفسك أولا.

القردة تعترض!

انهال القرد بالعصا فوق ظهر الرجل الذي دخل الغابة ليجمع الحطب. ثم أخذ يبادله اللكمات بعد ذلك بينما بقية القرود الأخرى جالسة على أغصان الأشجار وهي تصفق كأنها تشاهد مباراة ممتعة. وفي النهاية هرب الرجل مذعورًا من الغابة، ومن المؤكد أنه كان يقسم إنه لن يعود إليها مرة أخرى.

حدث هذا في إحدى غابات نيجيريا حيث بدأت الحيوانات تدافع عن بيتها الذي لم يعد آمنا في مواجهة انتهاكات الإنسان المتكررة. لقد اختارت القرود هذه المرة ضحية عزلاء لا تملك بندقية أو منشارًا أو جرافة تكتسح ما أمامها من أشجار الغابة، ولكن من يدري ماذا تختار غدا؟!. ولقد جاء الدور على بقية الحيوانات كي تمارس كل ما تستطيعه من أجل الدفاع عن ملاذها الأخير.. عليها أن تبرز أنيابها ومخالبها وأن تقوم بهجمات انتحارية ضد كل من يحاول إصابة خضرتها بالموت. فلم تشاهد البشرية في تاريخها الطويل مثل هذا الاعتداء على البيئة التي تعيش عليها. ففي هذا القرن أتلفنا آلاف الغابات التي تكونت على مدى مليارات السنين، وكأننا بذلك نضيع كل المخزون التاريخي لهذا الكوكب الذي وجدنا عليه. فقد تسببت إزالة الغابات الاستوائية في انقراض ١٧٥٠٠ نوع حيواني ونباتي بشكل سنوي، أي أن معدل الانقراض قد وصل إلى ١٠ آلاف ضعف ما كان عليه الوضع قبل ظهور الإنسان. وإذا استمر

الحال بنفس هذا المعدل فسوف تختفي ربع الأنواع في حوالي ٣٠ إلى ٥٠ عاما. أي أنه في خلال ٢٠٠ عام سوف تنقرض كل أشكال الحياة على الأرض. أليس هذا أمرًا مفزعًا؟، وهل نبالغ إذا قلنا إن سكان العالم الذين سوف يصل عددهم إلى عشرة بلايين نسمة في بداية القرن القادم سوف يفاجئون بالأرض وقد قبضت يدها وقلصت غلتها؟. لقد تراجع الإنتاج الزراعي في ٩٤ دولة وانخفض صيد السمك بمقدار ٤ ملايين طن سنويا.. وهذه الكارثة ليست بعيدة عنا كما نتصور. نحن أهالي الصحراوات الوادعة. ففي الخليج وخلال حرب تحرير الكويت تم إلقاء حوالي ٨ ملايين برميل من النفط في تلك الرقعة الضيقة من المياه ومازالت السواحل الكويتية تعاني من هذا الأمر، وفي بعض مناطق الصحراء انخفض عدد الحيوانات التي كانت تقدر بالآلاف إلى بضع مئات فقط، ومازالت برك النفط تغطي مساحات كبيرة من الرمل.. أليست القرود على حق إذن عندما تهوي على الإنسان ضربا لعله يفيق من الحماقات التي صنعها بيديه؟

إننا نود لو نحضر مجموعة القرود العاقلة هذه كي تعطي علقة ساخنة لكل المجانين الذي سببوا هذه الكوارث في الخليج.. وفي بقية العالم.

كله عند العرب .. زواج!

بالتأكيد كان الزواج أيام زمان أسهل بكثير من أيامنا هذه. لم تكن هناك تلك المشاكل التي تثار دوما حول المهر والشبكة والبيت والأثاث.. وغير ذلك من لوازم الحياة العصرية، التي ترهق الجيوب والأعصاب. تكفي خيمة صغيرة على حافة التل وامرأة راضية حتى يتمكن المرء من إنجاب قبيلة بأكملها. ويقال إنه كانت هناك امرأة تعد من أسرع نساء العرب في الزواج، وربما كانت أسرع امرأة في العالم. فقد كان يأتيها الرجل راكبا ناقته ويقول لها قبل أن يهبط من على الناقة خطب. فتبادره بالقول: نكح. يقول لها: قبل. تقول له: أنخ. أى أن عليه أن يهبط فورًا من فوق الناقة لأنه ليس لديها وقت تضيعه في التعارف أو التمهيد حتى لتعرف اسم الزوج المقبل. وحتى بعد أن عجزت هذه المرأة وأسنت ولم تعد قادرة على الحركة، جاء ابنها ليأخذها من عند آخر الأزواج ووضعها على ناقته ليعود بها إلى قبيلته فرأت رجلا على ظهر جواده عند حافة الأفق، فقالت لولدها: تمهل قليلا يا ولدي فربما كان هذا خاطبا يسعى إلي، فأخذ ابنها يسبها ويلعنها وهو يمضي مبتعداً.

تعقدت الحياة. وظهر مجمل هذا التعقد في العلاقات الاجتماعية وخاصة الزواج. اختفت الصور الرومانسية، ولم يعد الفارس يأتي ليجد في انتظاره عذراء تمسك وردة. ولكنها امرأة فاهمة وواعية تمسك «آلة حاسبة» لتحسب قيمة كل عاطفة وقيمة كل وعد. الأخطر من ذلك أن الزواج وجد لنفسه مسارب كثيرة يسير فيها حتى يعطي لنفسه مبررًا

شرعيا. ففي هذه الأيام أصبحنا نسمع بكثرة عن ظاهرة الزواج العرفي الذي من الصعب أن نطلق عليه لفظة «زواج» لأنه يفتقر إلى ركن من أهم أركان المشروعية وهو الإعلان. إنه فقط مجرد مبرر للتلاقي وممارسة الحب دون أي التزام. ودافعه الأساسي هو الأزمة الاقتصادية التي أجلت سن الزواج، وجعلت من الصعب الحصول على سكن مستقل. ودافعه الثاني «فراغة» عين الرجل بطبيعة الحال. لقد انتشر هذا الزواج في بعض الدول العربية بين تلاميذ وتلميذات المدارس وأصبح العقد يكتب على ورقة منزوعة من الكراسة ولا لزوم لشهود من الخارج فزملاء الفصل فيهم الكفاية.

أما أحدث أنواع الزواج، الذي هو شرعي وسري في الوقت نفسه. فهو «زوج المسايرة» الذي انتشر في بعض مناطق الخليج. وهو يعقد على يد مأذون شرعي ويحضره شهود ولا ينقصه سوي شيء واحد هو الإعلان عنه. ويفهم من ذلك أن العريس كان غالبا متزوجا ولكنه يخشى على مشاعر أم العيال، أو ربما من بأسها وسطوتها، لذلك فهو يفضل الا يغضبها، وفي الوقت نفسه لا يغضب الله - أو هكذا يخيل إليه بطبيعة الحال، وقد سمي زواج المسايرة لأن الزوجة تبقى في بيت أهلها لا يتغير من وضعها شيء سوى أن الزوج هو الذي يسير إليها ويغادرها قبل أن ينكشف الأمر. وقد احتار الفقهاء في أمر هذا الزواج الذي يأخذ كل الأشكال القانونية ومع ذلك فإنه ليس مكتمل الشرعية. هل هو حلال أم حرام؟ هل يحل مشكلة الزواج المتأخر بالنسبة لبعض الفتيات؟ أم يضيف مشاكل وأعباء اجتماعية جديدة بالنسبة للأولاد الجدد والزوجة القديمة؟

كما قلت الزواج ليس سهلا حتى وإن كان شرعيا. فما رأيكم دام فضلكم إذا تم تحت اسم آخر؟

عنصرية كرة القدم

البعض شاهد بطولة أوربا الأخيرة في كرة القدم بعيون مختلفة. لم يتوقفوا عند إثارة المباريات أو حلاوة الأهداف.. أو لماذا فازت ألمانيا بالكأس.. بل شاهدوها بمزيد من الحزن والفزع، لأن اللاعبين الأجانب كانوا أكثر مما ينبغي في المنتخبات الأوربية العريقة. فقد ضمت منتخبات إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا والبرتغال أعدادا كبيرة من ذوي البشرة الإفريقية السوداء. بل والأخطر من ذلك أن البعض الآخر يحمل أسماء إسلامية واضحة.. مثل زيدان وكريمو ومحمد شول.

المسيو لوبان ـ المرشح الدائم والراسب الدائم أيضا في الانتخابات الفرنسية ـ أصابه الغم والنكد من هذا الأمر وصرخ في كل وسائل الإعلام يدعو لطرد كل اللاعبين الأجانب من المنتخب وخاصة زيدان وبالمرة طرد كل الأجانب الموجودين في فرنسا.

مستر جوردان تايلور رئيس رابطة لاعبي كرة القدم الإنجليزية صرح بأن هذا الأمر كفيل بالقضاء على الكرة الإنجليزية إذا لم يقض عليها في العالم كله. هؤلاء اللاعبون ليسوا أجانب بالمعنى الدقيق للكلمة، كل ما في الأمر أن جذورهم تنتمي إلى عالمنا الثالث وهم يحملون جنسية البلاد التي يعيشون فيها ويمارسون كل صلاحيات المواطنة. زيدان مقيم في فرنسا منذ أن كان شبلا، ومحمد شول لم يزر تركيا إلا مرة واحدة، ومع ذلك سوف يظلان أجنبيين لمجرد أنهما يختلفان في لون البشرة.

وصيحات العنصرية ليست غريبة على أوربا وإن كانت قد ازدادت حدتها في السنوات الأخيرة. وهي مرتبطة بالتحولات الاقتصادية التي دفعت بطبقات عديدة إلى البطالة وضيق ذات اليد. ودعاة العنصرية يضربون على هذه الأوتار. فهم يتهمون الأجانب بأنهم سبب الكساد وأزمة الإسكان، بل والإحباطات الجنسية أيضا. هي اتهامات كفيلة بجعل مطلقيها أبطالا على الأقل أمام صناديق الانتخابات، ولكنها تعني أيضا أن المجتمع لم يعد قادرًا على حل مشاكله بنفسه لذلك فهو يلقي بعبئها على الآخرين.

والعنصرية تشبه التطرف الديني تماما. فكلاهما يأخذ مصداقيته من أفكار قديمة ترفض الحلول الوسط رفضًا قاطعًا. ومن الغريب أن العنصرية قد نشأت بمعناها الحديث في فرنسا بلاد التحرر، بل وفي أعقاب ثورتها الكبرى التي رفعت شعارات الحرية والإخاء والمساواة. وجاء الكونت «جوربينو» أحد فلول الأرستقراطية المنقرضة ليقدم نظريته حول تفوق الجنس الآري التي تبناها الحزب النازي فيما بعد.

وللحق فإن هناك نزعة عنصرية موجودة في كل حضارة، هي نزعة سلبية، لأن هناك خوفا دائما من كل غريب وافتتانا به في الوقت ذاته. تماما مثل الطفل الذي يرى شخصًا غريبا لأول مرة فيحاذر من الاقتراب منه، ولكنه لا يكف عن تأمله. ولعل هذا ما دفع بعض الحضارات للتغلب على هذا الموقف السلبي، بأن تسن تقاليد وأعرافا تحض المرء على أن يكون إيجابيا في مواجهة الغرباء. وفي الحضارة العربية مثلا فإن إكرام الضيف ومنحه حق الجوار وحمايته من الخطر هو أمر مقدس. وقد أدركنا منذ زمن بعيد كيف نتعايش مع الغرباء ونزيل غربتهم حتى يصيروا منا.

ولكن درجة ثقافة «المسيو لوبان» وأمثاله لم تهيئه لهذا الأمر.. فهو ما زال يواصل الصراخ من أجل تحطيم المنتخب الفرنسي، والحل الوحيد هو ركلة جزاء قوية من زيدان تضرب رأس لوبان بعنف لعله يخفف من صيحاته العنصرية قليلا.

غادة .. وأحلام البنات

برغم مرور أشهر على انتهاء الدورة الأولمبية السادسة والعشرين في أتلانتا ما زالت حالة الغضب تجتاح بلادنا العربية. ولم يكن السبب أن أغلب أبطالنا الرجال قد عادوا بأيد خاوية من أي ميدالية من أي معدن، فقد كنا نتوقع هذا، بل إننا تعودنا هزائمهم في مجال الرياضة مثلما في بقية المجالات. ولكن غضبنا كان سببه الحقيقي هو فوز امرأة - والعياذ بالله - بتلك الميدالية الذهبية.

والمشكلة أن البطلة السورية غادة شعاع قد فازت بها في مسابقات السباعي الصعبة التي تتضمن قفز الحواجز والوثب العالي والوثب الطويل ورمي الجلة وقذف الرمح والوثب السريع وسباق الـ ٨٠٠ متر. أي أنها فازت في «الرياضة الأكمل» كما يطلق عليها، واستطاعت بنت قرية «محردة» أن تجمع ٦٧٨٠ نقطة بفارق ١٧٢ نقطة عن أقرب منافسة لها.

وهكذا ترون أن هذه الفتاة الصغيرة قد استطاعت أن تفشل كل جهودنا من أجل محاصرة المرأة ودفعها إلى العودة للمنزل واستئصال شأفتها من الحياة العامة. وضاعت بذلك الحرب الدعائية الكبرى التي أقمناها من أجل إسدال الحجاب على المرأة أولاً ثم نفي وجودها وشخصيتها أخيراً. ضاع كل هذا في دورة أولمبية واحدة.

بل إن هذه الدورة كلها جاءت على خلاف ما نهوى. فبعد مائة عام من الألعاب الأولمبية يمكن أن يطلق عليها دورة المرأة. فقد بلغ عدد النساء

المشاركات فيها ٣٧٧٩ امرأة أي أكثر من دورة برشلونة بحوالي ٤٠٪ وشملت مشاركاتها كل أنواع الرياضات حتى التي لم تشارك فيها من قبل مثل صعود الجبال بالدراجات والكرة الطائرة على الشاطئ.

واختلف أيضا موقف الدول الإسلامية. ففي برشلونة حضرت وفود ٣٥ دولة معظمها من العالم الإسلامي بوفود خالية تمامًا من أي امرأة، الأمر الذي أثار المجموعة الأوربية وجمعيات الدفاع عن حقوق المرأة وطالبت اللجنة الأولمبية بحرمان أي دولة لا تكون المرأة ممثلة في وفدها من الألعاب، لأن هذا دليل على التمييز بين الجنسين. وقد غيرت إيران موقفها لأول مرة منذ الثورة الإسلامية فيها واشتركت في دورة أتلانتا بلاعبة واحدة.

نعود لسؤالنا الأساسي.. كيف يمكن القضاء على آثار هذا الانتصار الذي حققته غادة شعاع قبل أن يتحول إلى حلم لكل الفتيات العربيات؟

لقد قضينا من قبل على الجزائرية حسيبة بولمرقة التي فازت بالميدالية الذهبية في سباق ١٥٠٠ متر في دورة برشلونة، فقد تمت محاصرتها بالشتائم والبصاق في أي مكان ذهبت إليه لأنها جرؤت على الجري عارية الساقين أمام أنظار آلاف من الرجال الغرباء. وقد كانت حملة الرفض من العنف بحيث اضطرت لممارسة الرياضة بالخفاء وحبس نفسها داخل البيت بعيداً عن الأضواء.

ألم يكن هذا الانتصار أكثر فاعلية من أي ميدالية ذهبية؟

ماذا نفعل الآن والعالم كله يسير في طريق المساواة وعدم التمييز بين الجنسين. بل إنهم قد اعتبروا الصين هي الدولة الأفضل في الدورة لأنها كانت الدولة الوحيدة التي تساوي في وفدها عدد الرجال مع عدد النساء. ماذا نفعل مع أمثال هؤلاء النسوة النابغات اللاتي تتمرد

عقولهن على الحجاب وتحلق أرواحهن بعيداً فوق كل قوانين العزل ومنع الاختلاط؟!

باختصار كيف يمكن القضاء على أحلام فتاة مثل غادة شعاع وهي التي اتسع حلمها ليشمل العالم كله؟.. بل.. كيف يمكن القضاء على أحلام الفتيات العربيات؟

«الخلط الجنسي»

قرأت أن الولايات المتحدة الأمريكية أباحت «الخلط الجنسي» أي زرع أعضاء مأخوذة من جنس الحيوان في جنس الإنسان.

وقرأت أنها في حالات خاصة سمحت بنقل عظمة من قرد إلى أحد المصابين بالإيدز.

وقرأت أن الحيوان المفضل للنقل منه لدى الأطباء هو الخنزير.

وقرأت أخيراً أن المعارضين للخلط الجنسي يحذرون من أن الأمراض الوبائية التي تنتشر عند الحيوانات يمكن عندئذ أن تنتقل إلى الإنسان.

أنا لست معارضًا، بل منحاز إلى هذا الخلط من الناحية الفنية والفلسفية أيضا.

تصوروا مثلاً إنسانًا يملك قلب أسد، ودماغ ثعلب. وجلد تمساح، وذاكرة فيل.

وامرأة «بعيدة مهوى القرط» يعني تحمل رقبة زرافة، وعيني مها، وجلد أفعى وضرع بقرة.

هذا في الناحية الجمالية والفنية. أما في الجانب الفلسفي، فإن هذا الخلط سوف يبيح لأي زعيم في العالم الثالث أن يعيد «تصنيع» شعبه، على مزاجه وهواه.. والخيارات واسعة.

إذ يستطيع هذا الزعيم أن يختار زرع رأس حمار مثلاً فوق أجساد

المعارضين فيتحولوا بين يوم وليلة إلى موالين.. وإذا خاف هذا الزعيم من «لبيط» المعارضة، فيمكن استبدال قوائم صوص بأقدامها.

ويستطيع هذا الزعيم أن ينظم جيشًا سريًا ينبش ما فوق الأرض وماتحتها، في الليل كما في النهار.. فيزرع عيون الصقر في جيش النهار، وعيون البومة في عسس الليل، بينما يزرع أعضاء «الخلد» في جيش ثالث ينبش الأرض ويتعمق في باطنها إما لنصب الكمائن أو مطاردة الأعداء.

ويستطيع هذا الزعيم أن يحول شعبه كله إلى قطعان داجنة تقوم على خدمته، وأن يكون الثور الأوحد بعد أن يحول إناث شعبه إلى بقر.

ولكن مشكلة ستطرأ في هذه الحال، إذ إن الثور نباتي بينما هذا الزعيم من العالم الثالث يعيش على لحم شعبه.

ثلاث في مقابل واحد

في مقابل كل خريج من الذكور.. تتخرج ثلاث إناث كل عام من جامعة الكويت. ومعنى هذا أن البنات قد أصبحن أكثر شطارة واجتهادا من الأولاد بثلاث مرات على الأقل. والذي يلاحظ الإدارة الحكومية في الكويت يكتشف أنها تدريجيا بدأت تميل إلى الجانب النسائي. فقد أصبحت المرأة تحتل كل المناصب بدءاً من وكيلة الوزارة إلى أصغر موظفة.

كنت أحسب أن هذه المشكلة وقف على الكويت فقط، ولكنني اكتشفت أنها مشكلة عالمية. فقد اكتشف في بريطانيا أنه في جميع المدارس تحقق البنات نتائج أفضل من الأولاد، بل إنهن حصلن على نتائج أفضل في مواد كان يعتقد في السابق أنها حكر على الأولاد مثل الرياضيات والعلوم وبدأت التحذيرات تتصاعد مع تدني مستوى الطلاب الذين سوف يصبحون رجال المستقبل وهم يعانون من تلك الخيبة القوية.

والأسباب وراء هذه الظاهرة عديدة، وهي بالمناسبة ليست لها صلة بالقدرة العقلية العامة للطلاب، ولا الفروق في مهارات القراءة والكتابة ولا مشكلات التعليم.. ولكن سببها الرئيسي كان سوء التصرف وعدم الالتزام بالدوام المدرسي أو عدم العمل بجدية داخل المدرسة، والأهم من ذلك السهر اليومي خارج المنزل.

كل هذا مفهوم في مجتمعنا الذي يفرض حصاراً صارما حول البنت

فيمنعها من الخروج والسهر ومتابعة القنوات الفضائية فلا تجد لها غير الكتاب المدرسي تضع فيه كل طاقتها بينما تتيح الحرية للولد الخروج في أي وقت وكل وقت، والسهر مع الرفاق في الديوانيات والأماكن العامة، وقضاء الوقت أمام الفيديو أو التنصت على مكالمات الغير، ولكن من الواضح أن هذا يحدث في كل المجتمعات حتى التي تتمتع فيها البنات بالكثير من الحرية، ومع هذه الحرية فقد أثبتت البنات أنهن على قدر من المسئولية برغم انفتاح المجتمع من حولهن.

تدافعت هذه الخواطر إلى رأسي بمناسبة الانتخابات الكويتية الأخيرة لمجلس الأمة، وبخاصة عندما رأيت موكب المحتجات على حرمانهن من حق التصويت. لقد وقفت نساء وفتيات الكويت في طوابير طويلة وقد رفعن لافتات الاحتجاج وعلقن على صدورهن علامات الرفض لكل الظلم الواقع ضدهن وحرمانهن من حقهن في ممارسة الديمقراطية، فلا يعقل أن تعطى البنت أعلى الدرجات في الامتحانات، ثم نعطيها صفراً في صناديق التصويت، إلا إذا كان الأمر هو خوفنا من أن يتفوقن علينا أيضا في هذا المجال. ويأتي يوم نكتشف فيه أن مقاعد مجلس الأمة يحتلها اعضاء من النساء، على العموم مازالت الجامعة توالي تخريج ثلاثة أضعاف عددها من البنات، ولأن المرأة دائما تؤمن بسياسة النفس الطويل فسوف تكسب هذه المعركة في النهاية.

البعض لا يفضلونها شقراء

ثلاث من الشقراوات كن يسرن وسط الصحراء عندما وجدن مصباحا سحريا. قال لهن الجني خادم المصباح: سوف أحقق ثلاث أمنيات، واحدة لكل منكن. قالت الأولى: أريد أن أكون ذكية. فتحول شعرها إلى اللون الأحمر، وقالت الثانية: أريد أن أكون أذكى من الأولى. فتحول شعرها إلى اللون الكستنائي، وقالت الثالثة: أريد أن أكون أذكى من الأولى والثانية. فتحولت إلى.. رجل.

لا أعرف بالضبط ماذا كان لون شعر «مدام كوري» المخترعة البولندية المعروفة، ولكن من المؤكد أنها لم تكن شقراء. فالنكات التي تربط بين الشقرة والغباء لا تنتهي، وهي نكت أمريكية في معظمها لا تكف شبكة الإنترنت عن بثها كل صباح، وهي في كثرتها وتركيزها تشبه النكت التي تطلق على الصعايدة في مصر وإن كانت الأخيرة أكثر رقة مقارنة بما تلاقيه الشقراوات على يد من يخالفونهن في اللون. والسينما الأمريكية هي التي جسدت دائما هذه الأسطورة حول ارتباط الذكاء بلون الشعر. فمنذ أن مثلت مارلين مونرو فيلم «البعض يفضلونها شقراء» حدثت هذه المقارنة بين الشقراء البالغة الجمال، ولكن عقلها صغير جدا لا يرى أبعد من البروز المثير في جسدها، وبين السمراء «جين راسل» التي هي أقل جمالا ولكنها جادة وملتزمة وتهتم بعقلها أكثر من لون شعرها. وقد تكررت هذه الثنائية في العديد من الأفلام التي حاولت ترسيخها كأنها

حقيقة علمية برغم أنني لا أعرف لها أي أساس علمي تستند إليه، فأنا شخصيا أفضل السمراوات دون أن أبالي بمسألة الذكاء هذه كثيرا.

تقول النكات «شقراء ذكية وشقراء غبية ويابانويل كانوا يسيرون في الشارع عندما وجدوا ورقة بمائة دولار.. فمن الذي أخذها؟.. الشقراء الغبية طبعا لأن الشقراء الذكية ويابانويل لا وجود لهما..»، «شقراء وأخرى سوداء الشعر سقطتا من فوق بناية ارتفاعها خمسون طابقا.. من الذي وصل إلى الأرض أولا؟.. سوداء الشعر؛ لأن الشقراء توقفت في منتصف المسافة لتسأل عن الاتجاه»، «لماذا لا تستطيع الشقراء أن تعمل في الصيدلية.. لأنها تكسر الزجاجات كلما وضعتها في الآلة الكاتبة»، «اثنتان من الشقراوات كانتا تسيران في الغابة، قالت إحداهما: انظري هذا طريق الغزلان.. قالت الأخرى: كلا.. هذا طريق الذئاب. وبينما كانتا تتناقشان جاء القطار وسار عليهما»، «شقراء كانت تقص للبابا نكتة عن البولنديين، وقال لها البابا: ألا تعرفين أنني بولندي، قالت: آه.. آسفة سوف أعيد عليك النكتة ولكن ببطء..»، «شقراء كانت تقود سيارتها عندما شاهدت شقراء أخرى وسط حقل من الذرة وهي تجدف داخل القارب فصاحت فيها: شقراء مثلك هي السبب في اتهامنا بالغباء.. يمكن أن أضربك على رأسك لو استطعت السباحة إليك..»، «قبض أحد رجال الشرطة على شقراء وهي تقود عكس الاتجاه في طريق واحد وهتف بها.. ألا تعرفين إلى أين تسيرين؟ أوه.. كلا ولكن لابد أنه مكان سيئ لأن كل الناس يغادرونه..».

ولا تنتهي النكات.. وعليك أن تحدد من الآن.. أيهما تفضل.. الشقراء.. أم السمراء.

والبعض .. لا يفضلون المحامي

ماذا تقول عندما يغرق ٥ آلاف محام في قاع المحيط؟.. الجواب: بداية جيدة. وكيف تعرف أن المحامي يكذب؟.. الجواب عندما يحرك شفتيه. لماذا لايهاجم سمك القرش المحامي؟.. لأنهم زملاء في نفس المهنة. ماذا تتصور عندما يدفن المحامي في الرمل حتى رقبته؟.. لأنه لايوجد رمل كاف. كيف تساعد المحامي للهبوط من فوق الشجرة؟.. نقطع الحبل. كيف تنقذ المحامي من الغرق؟.. ترفع قدمك من فوق رأسه.

أرجو ألا يغضب قراء المجلة الأعزاء من المحامين عندما يقرءون هذه التعليقات اللاذعة. فشبكة الإنترنت مازالت تواصل بث دعاباتها دون أن يفلت أحد من لسانها السليط. وفي الشهر الماضي كنا قد تحدثنا عن النكات التي تربط بين الشقراوات والغباء. وهي الآن تعبر عن درجة بالغة الغيظ من بعض المحامين الذين يستغلون نفوذهم ومعرفتهم بخبايا القانون إلى مهنة يبتزون بها ضحاياهم من الموكلين.

ومهنة المحامي أصبحت طرفاً في كل نشاطات الحياة المعاصرة على وجه التقريب. وفي بلد مثل الولايات المتحدة. وهي الموطن الأساسي لهذه النكات اللاذعة. لاتستطيع أن تتحرك خطوة واحدة دون استشارة محام ودون أن تأتيك منه فاتورة باهظة الأتعاب. ولايقتصر الأمر على مخالفاتك للقانون.. بل إن التعاقدات وإنشاء شركات جديدة والحصول على الهجرة وتسجيل المسكن كل هذا في حاجة إلى محام. بل إن هناك

العديد من أنواع الزيجات الآن لم تعد تعقد في الكنيسة أو في السجل المدني ولكن في مكتب المحامي. ولايوجد طلاق في الولايات المتحدة إلا إذا كان المحامي طرفاً فيه.. بل إنه من المحتم أن يخرج الزوجان من هذه التجربة خاسرين ويفوز المحامي بكل شيء.. لذا فمن الطبيعي أن تكون النكات بمثل هذه القسوة.

وتتوالى الأسئلة السريعة والأجوبة الأكثر سرعة.. ماهو الفرق بين المحامي وسلة الزبالة؟. الجواب: السلة. لماذا يعاني العديد من المحامين من كسور في أنوفهم؟ بسبب مطارداتهم لسيارات الإسعاف المتوقفة. أين يمكن ان تجد محاميا طيبا؟ في المقبرة. ماهو الفرق بين المحامي والنصاب؟. النصاب يفعل ذلك على الشخص مرة واحدة فقط. ماالفرق بين المحامي ومصاص الدماء؟. المصاص يمص الدم في الليل فقط. ومالفرق بين المحامي والديك؟. عندما يستيقظ الديك في الصباح يخاف من الصياح حتى لايرفع عليه المحامي دعوى.

وخوفاً من أن تثير هذه المقالة غضب المحامين فأنا أبادر إلى التنصل من كل ماورد بها وأعلن أن المحامين العرب هم افضل أنواع المحامين، وأنهم دائما يناصرون الحق والعدالة، وأن المنحرفين منهم قلة ضئيلة جداً تعيش بعيداً في الولايات المتحدة. أما في الكويت فلا عمل لهم لكثرتهم حسب رأي محام عتيق.!

البحث عن شركة تأمين

لا أدري كيف فعلها هذا الشخص وقام بخداع شركة التأمين وأخذ منها هذا المبلغ الضخم؟! فمن المعروف أن هذه الشركات. وخاصة في الغرب. بالغة الدقة والتشكك، ولاتدفع سنتاً واحداً إلا إذا كانت مرغمة على ذلك. وهي تستعين في أعمالها بجيش من المخبرين ورجال التحري الخاصين لملاحقة كل من يطالبها بأي نوع من التعويضات. فما إن تموت الزوجة - على سبيل المثال - حتى يستنفر رجال التحري قواهم ليثبتوا أنها لم تمت انتحاراً كما يبدو، وأن القاتل هو زوجها وبالتالي لايحق له أن يقبض أي تعويض. وإذا اختفى شخص في أدغال إفريقيا قاموا بمسح كل الغابات ليكتشفوا المكان الذي اختبأ فيه حتى تقبض أسرته قيمة التأمين. وإذا مات شخص في حادث أسرعوا إلى إثبات أنه هو الذي تسبب بالضرر للسيارة. وقس على ذلك عشرات الحالات التي تفلح الشركات في التنصل منها جميعا.

ولكن جوزف كاربنتر. وواضح من اسمه أنه نجار. قد فعلها في سابقة وصفت بأنها عالمية. فقد أثبت لإحدى شركات التأمين ضد المخاطر غير العادية أن مخلوقات من الفضاء الخارجي قامت باختطافه وحصل في مقابل ذلك على تعويض قدره مليون جنيه إسترليني دفعة واحدة. وقد كان هذا الشخص المحظوظ شغوفاً بكل مايتعلق بالأطباق الطائرة والمخلوقات الفضائية حتى أنه أمن على نفسه ضد هذا النوع من الاختطاف، ثم توجه ذات ليلة. وبعد أن دفع القسط الأول فقط من

التـأمين. إلى مكان خـارج مدينتـه بصـحبة أربعـة من الأصـدقـاء حـيث شاهد مـركبـة فـضائيـة مـثلثة الشكل تم نقله إليـهـا بواسطة شـعـاع من الضوء. وعندمـا أفـاق وجد نفسه في غرفة مـثلثـة في مـواجهـة مـخلوق أخضـر مـثلث الراس أخذ يتحدث معـه بطريقـة التـخـاطر عن بعد. ولا أحد يعرف فيم كان مـوضوع التخـاطر؟. لعله كان عن كيفية التعامل مع شركات التأمين! المهم أنه أفاق ليجد نفسه على الأرض مرة أخرى!

ولم يكتف السيد كـاربنتـر بذلك ولكنه قدم أدلة فعـالة على عـمـليـة الخطف. ظفر شفـاف علق بمعطفـه، صور فوتوغـرافيـة صورها أصـدقـاؤه. فيلم كامل. ولا أدري لماذا اكتـفى الفضائيون باختطافه وحـده؟ ربما لأن الآخرين لم يؤمنوا على أنفسهم! مهمـا كـان الأمـر فقد ابتلعت الشـركـة القصة بأكملها وقامت بدفع المبلغ الضخم.

وإذا كان الأمـر كذلك فـأنا مستعد للقيام بهذه المخاطرة وسـوف أقدم الدليل القـاطع على أنه قـد تم اخـتطافي ونقلي إلى المريخ، وسـأقـدم مـا يثبت ذلك من أحـجـار وتربة حـمـراء اللون، أو أنـني ابتلعت بواسطة حوت عـابر وسـوف أقـدم أدلتي من قطع العنبـر الخام، أو أنـني غـصـت من أجل البـحث عن أتلانتـا القـارة المفقـودة، وسأقـدم إحـدى حـوريات البـحـر تأكيداً لكلامي!، كل ما أريده فقط هو شركة تأمين عـربيـة تقبل تأمـيني وتأخذ مني القسط الأول وسوف أتكفل أنا بالباقي.

تجارة نفايات

تعاني المانيا من قلة نفاياتها. الصين تستورد نفايات امريكية. نفايات اوربا تتحول إلى كنوز في العالم الثالث.

هذه هي بعض العناوين التي طالعتنا بها وسائل الإعلام الدولية خلال الأسابيع الماضية، ونقلت عن المانيا أن عدداً من مدنها أعد تشريعات يمنع بموجبها الشركات من تصدير نفاياتها إلى الخارج. أبرز الأسباب لهذا الترشيد النفاياتي هو أن معظم البلديات في المانيا انشأت مصانع تكلفت مئات الملايين من الماركات لتدوير النفايات وإعادة استخدامها، ولكن المصنع الذي كلف بلدية فرانكفورت حوالي ٤٠٠ مليون دولار يكاد يتوقف حاليا عن العمل، والسبب هو فقدان المواد الأولية، أي النفايات، بعد أن تعاقدت المصانع والشركات الألمانية على تصدير نفاياتها إلى مصانع في بلجيكا، مقابل أن تدفع ٢٤٠ دولارا - الشركات وليس بلجيكا - عن الطن الواحد. وتقوم هذه المصانع بمفاوضات مع البلديات حاليًا بحثًا عن اسعار مخفضة باعتبار أن العرض والطلب هو في مصلحة المصانع وليس البلديات.

أما في الصين فقد تسببت النفايات في أزمة مع أمريكا حيث تبين أن أحد التجار الأمريكيين من اصل صيني كان يستورد النفايات الأمريكية باعتبارها كيماويات يمكن استخدامها وإعادة تدويرها.

ولكن كما اكتشف رجال الجمارك فيما بعد أن هذه النفايات يتم

التخلص منها في أراضي الصين بما يلحق ضرراً كبيراً بالبيئة، ويقول أحد رجال الجمارك الصينيين: كدت أختنق وأنا أكشف على البضاعة، كانت الرائحة نفاذة، وتبين لي بعد الكشف أن الحاوية تحتوي على «حفاضات مستعملة» للنساء والأطفال.. فهل يمكن تنظيف هذه الحفاضات وإعادة استخدامها؟

أما عن العالم الثالث الذي يبحث عن كنوزه في نفايات العالم الصناعي، خاصة النفايات المشعة أو الملوثة التي تحتاج إلى تكاليف عالية لمعالجتها، فإن آخر الإحصاءات تقول إن هناك مافيا دولية مهمتها تصدير هذه النفايات إلى دول العالم الثالث. وهذه المافيا تتعامل سنوياً بما لا يقل عن ٤٠٠ مليار دولار. والرقم يبدو من نوع صدق أو لا تصدق، ولكن عندما نعرف حجم الإنتاج الصناعي في العالم المتقدم وقسوة اللوائح التي تحدد شروط الإنتاج في تلك الدول المسكونة اليوم بهواجس المحافظة على البيئة فإننا نصدق الرقم، ولنأخذ نموذجاً بسيطاً: في أمريكا إذا أردت أن تتخلص من أحد إطارات سيارتك، وتستبدل به واحدا جديدا، فعليك أن تدفع دولارين للتخلص من الإطار القديم. ولكن مافيا الإطارات لا تقوم بإحراق هذه الإطارات بالمصانع أو بإعادة تدويرها، وهو ما يكلفها مبالغ كبيرة من المال، بل تقوم بتصديرها إلى دول العالم الثالث باعتبارانها «سكند هاند» يعني صالحة للاستعمال، وإذا لم تكن كذلك، فإنه بإمكان البائع في العالم الثالث أن يلقيها أين يشاء: في البر أو في البحر أو في النهر أو حتى في حديقة جاره.. ولن يجد هناك من يحاسبه.

هذا عن الإطارات النافعة فما بالك بالنفايات السامة؟

هل نسمع الألمان يصرخون قريباً: نفايات من مال الله؟

تصغير القلب

كثيرا ما نستخدم تعبير «صاحب القلب الكبير» لنصف إنساناً شديد الطيبة، والكرم، والتسامح، إلى آخر وأقصى ما يمكن من هذه الصفات الحميدة. لكن «أصحاب القلوب الكبيرة» مشكلة كبيرة جداً لدى أطباء القلب، خاصة الجراحين منهم. فالقلب المتعب وهو يحاول تعويض ما فقده من قوة للقيام بدوره المعتاد لضخ الدم في الشرايين، من أخمص القدم وحتى أم الرأس، ومن أكبر شريان وحتى أصغر وعاء دموي، يتجه هذا القلب إلى التضخم مزيداً من كتلته وحجمه لعله يعوض قواه الخائرة، وكلما زاد الجهد زاد التضخم حتى يصير هذا القلب عبئاً على نفسه، ويزداد العبء حتى يصل إلى درجة الفشل. وهنا يبحث جراحو القلوب عن قلوب جديدة بديلة لزرعها في صدور «أصحاب القلوب الكبيرة»، مرات يلجئون لقلوب الموتى في حوادث الطرق الكثيرة في زحام وجنون عصرنا، ومرات يقال إن اللجوء يكون لقلوب الموتى عن عمد وسبق إصرار وترصد. فهؤلاء يقتلون بطرق حاذقة جداً للحصول على قلوبهم، وربما أجزاء أخرى! هذا وثمة طرق أخرى يلجأ إليها جراحو القلب ليستبدلوا بـ «القلوب الكبيرة» قلوباً صغيرة، ومنها قلوب الحيوانات. لكن هذه رهن التجريب، وخطورتها غير محددة بعد، ابتداء من احتمالات رفض الجسد الإنساني للقلب الحيواني، وحتى احتمالات النباح أو الصهيل أو الزئير أو العواء أو الخوار، تبعاً لنوع الحيوان المزروع قلبه في صدر الإنسان الذي كان قلبه كبيراً.

هذه المعضلات كلها حلها جراح قلب مغمور، اسمه رانداز باتستا، من

جنوب البرازيل بضربة مشرط ساحرة كضربات الحظ، إذ ابتكر جراحة يقص فيها قطعة من القلب المتضخم ويعيد رتق الباقي فيصغر القلب ويصير أخف وأكفأ، ولا داعي لقلوب الموتى أو القتلى أو الحيوانات. جراحة بسيطة لكنها عبقرية، حتى أن مجلة «ديسكفر» في عددها الخاص الأخير عدتها من أهم الإنجازات الطبية في العام الماضي، لو ثبتت علميًا، فالموضوع في حاجة إلى توثيق علمي، لأن الطبيب البرازيلي الفقير عادة ما يجري هذه الجراحات لمرضى فقراء مثله ينتشرون في قرى البرازيل البائسة حيث يغلب ألا تكون لديهم هواتف للاتصال بهم لمتابعة حالتهم ومعرفة فعالية عمليات تصغير القلب التي أجراها لهم، فهم يأخذون قلوبهم الصغيرة في صدورهم الجريحة ويذهبون مرتاحين. لكن كم يعيشون بعد ذلك؟ وأي مضاعفات يمرون بها؟ لا أحد يعرف، والذنب ذنب الفقر وشبكة الهواتف البرازيلية غير النقالة طبعًا، فتلك النقالة ترف خليجي لا يعرفه أهل الريف البرازيلي البؤساء.

المشكلة إذن ضخمة ومعقدة، لكن هناك من يقر بوجود حلول بسيطة للغاية، فالصراحة والقناعة والرضا وراحة البال هي أمور تريح القلوب وتبقيها صغيرة وشابة دون أي جراحة بهواتف أو دون هواتف، ودون لجوء لأي موتى أو قتلى أو حيوانات. لكن هذه الحلول البسيطة ذاتها صار الحصول عليها غير بسيط بالمرة.

وراء كل عظيم

دخل على المدير رجل قصير القامة، نحيف الجسم، يطلب أن يعمل حارسًا. وتفرس فيه المدير من رأسه إلى قدميه وقال له: إن الذي نريده هو شخص قوي، فائق السمع، لاينام، صارم، مقدام، يتحول شيطانا لدى أدنى اشتباه. قال الرجل وهو يتراجع: حسنا يا سيدي سأذهب وآتي بزوجتي..

كم نكتة قيلت عن الزوجات. ملايين النكات. إنها أكثر أنواع النكات انتشارًا. تليها بطبيعة الحال النكات التي تقال عن الرؤساء والمديرين. وهي أيضا من نفس النوعية. فالنكات تصف المرأة داخل المنزل بأنها دكتاتورة حقيقية، لا تسمع سوى نفسها وترى نفسها على حق دائما.

ولعل الرجال لايتزوجون إلا ليتمتعوا فقط بقول هذا النوع من النكات. وليس أدل على ذلك من أن المرأة - كما يقرر بعض علماء النفس - لا تضحك على أي نكتة يقولها الرجل. إنها تضحك فقط من تصرفاته ومن تعبيرات وجهه وهو يقول النكتة. فالمرأة بوجه عام ترى أن الرجل يتصرف بطريقة مضحكة. يقع في الأخطاء. ويقوم بالتصرفات العجيبة والغريبة. وعندما تجلس النساء معا في إحدى جلسات «الحش» والنميمة لا يحلو لهن الكلام والضحك إلا على هذه التصرفات دون أي حاجة لاختراع أي نكتة.. لأن الرجل في حد ذاته هو نكتة.

هذه النكات على كثرتها ليست قدحًا في نظام الزواج. فهو نظام أشد

عـراقـة من أن تنال منه أي نكتـة. أو بالأحـرى هو أقـوى من كل نكات الأرض. فهو شيء غريزي فطري، عرفته البشرية قبل أن تعرف الدين. وكل الأديان جاءت لتعترف به وتنظمه وتجعله أكثر توثيقا. وحتى في المجتمعات الغربية التي عرفت حياة جنسية مفتوحة ونظرت بتسامح إلى رفقة الرجل والمرأة وعيشهما معا دون زواج.. حتى هذه العلاقات لا رقيب عليها ولا مسئولية فيها تنتهي أيضا إلى الزواج. إنها رغبة في الألفة والمشاركة والرفقة الدائمة تتجاوز الرغبات العابرة بل وتعلو عليها.

الزواج ليس نظاما اجتماعيا فاشلا كما يدعي البعض. أو هو الشر الذي لا بد منه كما يقول البعض الآخر. ولكنه النظام الذي حافظ على النوع البشري وحافظ على استقرار الإنسان في مكان واحد فكان العمران وكانت الحضارة. ورغم ذلك لم تتوقف النكات ولا الأقوال اللاذعة حول الزوجات. ولنسمع معا: «بادرت المرأة زوجها العائد من العمل قائلة: نحن مدعوان على العشاء عند الجيران. أمامك ثلاثون دقيقة حتى تجادلني وأن تغير ملابسك في آن واحد».. «قال رجل لصديقه: ابنتك تعزف وزوجتك تغني وأنت ماذا تفعل. قال: أعاني في صمت».. «سألت السيدة زوجها الجديد: لو سألني الناس ما الذي يعجبني فيك.. ماذا أقول؟».. «قالت الزوجة لزوجها بعد أن اقترضت منه عشرة دنانير: سوف أرد لك هذا المبلغ يوم السبت القادم.. عندما تعطيني راتبك» وأخيرا نقول «وراء كل رجل عظيم امرأة تقول له إنه ليس عظيما إلى هذا الحد».

العلاج .. بالوهم

لست مخترعًا، ولكنني أحب أن أقرأ كثيرًا عن الاختراعات، ولأن عالمنا الثالث مشغول حاليًا باختراع تاريخ لزعيمه، وتاريخ آخر لتبرير الصراعات أو المذابح مع جيرانه الأقرب أو مع أعداء هذا الزعيم فإنني أضطر لمتابعة أخبار الاختراعات العلمية في وسائل الإعلام الأجنبية.

آخر ما قرأت عن هذه الاختراعات والاكتشافات هو أن العلماء نجحوا في عزل «جينات» في الدماغ هي المسئولة عن الكآبة والإحباط والإصابة بالصرع.

فاجأني الاكتشاف لأن معلوماتي المتواضعة جدا في هذا المجال كانت تؤكد أن الشعور بالكآبة والإحباط هو مرض نفسي وليس عضويًا.

ولم يكن هذا اقتناعي وحدي، إذ إن ما يزيد على ١٧ مليون أمريكي يعالجون سنويًا في عيادات نفسية لأنهم مصابون بالكآبة والإحباط. ويمضي كل مريض مدة تتراوح بين ساعتين أو ثلاث ساعات لدى طبيبه النفسي أسبوعيًا، وإذا عرفنا أن الطبيب النفسي يتقاضى مبلغا يتراوح بين ٨٠ و ١٥٠ دولارًا - حسب شهرة الطبيب - عن الساعة الواحدة، لاستنتجنا أن الأمريكي يدفع مبلغ ٧ آلاف و٦٨٠ دولارًا حدًا أدنى، ومبلغ ٢١ ألفًا و٦٠٠ دولار حدًا أعلى ثمنًا للعلاج.. بالوهم في كل عام.

فالمحلل النفسي يزعم أن الكآبة أو الإحباط أو الصرع هي أمراض ناتجة عن «عقد نفسية» وما عليه إلا أن يساعد مريضه على فك هذه

العقد عبر جلسات يكشف فيها المريض عن تفاصيل طفولته وأكثر اللحظات في حياته حميمية ثم يضرب الطبيب ضربته بعد أن يخترق حياة هذا المريض كلها ويعيده بعد سنوات فرحًا مرحًا بعد أن صار حبله النفسي مثل حبل سارية السفن مستقيمًا ومن دون عقد.

وأترك للقارئ أن يحسب كم يدفع هؤلاء الأمريكيون سواء المؤمَّنون من الحكومة أو من شركات خاصة، ثمنًا لعلاج وهمي يقوم به أطباء وليس قارئو كف أو مبصرو فنجان.

وأتساءل في حال صحة هذا الاكتشاف ما إذا كان الطبيب النفسي سوف يتحول إلى نوع من قارئي الفنجان، يعني للتسلية ولخفيفي العقل والظل. أما السؤال الأهم فهو، إذا قرر كل واحد أن يستأصل هذه الجينات التي تصيب بالكآبة من دماغه، فهل يعني ذلك أننا لن نعود إلى مشاهدة أي سحنة مقلوبة أمامنا، أو أي وجه لا تحتله ابتسامة أوسع من قارة. وعندئذ، هل يمكن أن تتحول الكآبة والإحباط إلى مشاعر ممنوعة، يقوم رجال الجمارك في مطارات العالم وعلى الحدود بالتنقيب عنها.. ومصادرتها؟

أعتقد شخصيًا أن فكرة وجود عالم من الفرح الدائم وخال من الكآبة تمامًا.. تبعث على الكآبة بالفعل.

أربع نسخ من زوجتك

دار الحوار كالتالي:

الزوجة: إذن فأنت تقول إن العلماء باتوا قادرين على تجميد الميت، ثم أخذ خلية منه وإعادة استنساخه من خلالها؟

الزوج: هذا ما قرأته، وقرأت أيضا أن سيدة بريطانية مات كلبها المدلل، فما كان منها إلا أن احتفظت به في البراد، بانتظار الحصول على نسخة منه، عندما تصبح كلفة الاستنساخ رخيصة.

الزوجة: تقصد أن الولد يستطيع مثلا أن يجمد والده، بعد وفاته، ثم يعيد استنساخه، ويعطي النسخة لأمه كي تقوم بتربيتها؟

الزوج: في الاستنساخ ليس هناك أب وأم. هناك النسخة الأصلية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، من أب ومن أم حقيقيين، أما في النسخ التقليدية فلا أعرف إذا كنا نستطيع أن نقول إن الناسخ هو الأب؟

الزوجة: طيب ليس مهمًا أن تكون أما لزوجها السابق أو لا تكون، المهم أنها قادرة أن تعيد تربية زوجها «على كيفها» هذه المرة؟

الزوج: بالطبع، وتذكري أنها لا تستطيع غالبا إرضاعه، خاصة إذا كانت قد بلغت أرذل العمر.

الزوجة: وتقصد أيضا أن بإمكانها تجميد والدتها المتوفاة، بعد طول

العمر، ثم تأخذ خلية منها، وتستنسخها، وتعيدها طفلة تقوم بتربيتها هي هذه المرة؟

الزوج: افترضي أن هذا صحيح، إذا صدقنا العلماء.

الزوجة: إذن، هل افهم اننا في عصر الاستنساخ سوف نكون مرة أمهات لبناتنا وأولادنا، ومرة بنات لهن، وعندما يتوفين، نقوم بدورنا باستنساخهن، فيعدن بنات لنا وأولاداً، ثم نكبر ونموت فيعيدون نسخنا.. وهكذا حتى ينتهي العالم؟

الزوج: بالطبع. إذا اختار الأبناء إعادة استنساخ والديهم فإن الدائرة سوف تصبح مغلقة تمامًا: الابن يعيد استنساخ الأب، الأب يصير طفلا، بينما الابن يصير أبا. الأب يموت فيعيد الابن نسخه.. الزوجة «مقاطعة»: هذا هو بيت القصيد، إذا كان أولادنا سوف يعيدون استنساخ كل واحد منا، من دون أن نكون إخوة، فإن باستطاعتنا أن نكسر الدائرة وأن نتزوج من جديد.

الزوج: نتزوج ثانية؟ يقولها بهلع. تتابع الزوجة: ولكن هذا يشترط إما أن تسبقني كي تبقى في نسختك الجديدة أكبر مني سناً، أو أن نرحل معًا، فنتساوى في العمر، أما أسوأ ما يمكن أن يحدث فهو أن أسبقك، وأن تتمسك أنت بالحياة، بحيث أصبح أكثر منك سناً.. هل تعتقد أنه يمكن أن تتزوجني، إذا كنت أكبر منك سناً؟

الزوج: أنت بالتأكيد لا تقترحين عليّ أن أنتحر كي لا يحصل هذا الذي تسمينه الأسوأ.

الزوجة: أعتقد أن على الزوج أن يثبت إخلاصه إذا أراد أن يجدد زواجه من النسخة الأصلية.. أم لعلك تفكر في زواج المسيار حيث تختلط النسخ فلا أحد يعرف الأصلية من التقليدية؟

الزوج : إلا هذه.

الزوجة مقاطعة: هل تعتقد أن ولدنا قادر على أن يستنسخ عني أربع نسخ مرة واحدة، بحيث أقطع الطريق مسبقًا، على أي «مسيار» محتمل؟

الزوج: إن ولدنا طبيب وليس عامل مطبعة.

حسنة لله يا محسنين!

يعتبر القانون الأمريكي أن الدستور يضمن حرية «الشحاذة» للمواطن، باعتبار أن حق الشحاذ في إطلاق نداءاته يدخل في نطاق حرية التعبير التي يكفلها الدستور الأمريكي.

ولكن المحكمة العليا في ولاية ماساشوستس الأمريكية ضجّت بنداءات شحاذيها وأصدرت أخيرا حكماً يقضي بسجن «مدّادي الأيدي».

جمعيات ومؤسسات الدفاع عن الحريات العامة أخذت على حين غرة بالحكم. وبدأت حوارا واسعاً حول تأثيره على الحريات العامة. وقال واحد من هؤلاء في مقال صحافي: إن الشحاذ في أمريكا لا تنطبق عليه صفة «مدّ اليد» فهو يضع أمامه وعاء أو قطعة قماش وأحيانا قبعة، ثم يبدأ نداءاته، وأحيانا هو يغني هذه النداءات، وليست غلطته إذا وجد أن أناساً كثيرين يمدون أيديهم إلى جيوبهم، ثم يلقون بالقطع المعدنية أمامه أو في قبعته. إن الشحاذ في هذه الحالة عبّر عن نفسه ولم يقترف ذنباً يعاقب عليه القانون، وبالتالي فإن الحكم بحبسه يعتبر خرقاً للدستور!!.

واحد آخر من أعداء الشحاذين قال إن الشحاذة مهنة، ومن شروط أية مهنة أن تتوافر فيها «الأمانة» في التعامل بين الطرفين، كما يجب أن تتوافر مواصفات معينة لمزاولتها، وكلاهما غائب عن مهنة الشحاذة، فهي مهنة يمكن أن يزاولها أي شخص، سواء كان سليماً أو معاقا، غنيًا أو

فقيراً، طفلاً أو كهلاً، رجلاً أو امرأة، متعلما أو أميّا.. وبالتالي إذا كان لابد من مزاولتها فلابد أن تتوافر لها «شهادات» معينة، من مرجعيات متخصصة، أسوة بباقي المهن.

وأضاف عدو الشحاذين: ثم إن الشحاذ يتلقى مبالغ من المال لقاء بضاعة مأمولة يبيعها للمستهلكين، وهذه البضاعة هي الوعد بموقع في الجنة، فإذا كان الموقع حقيقيا فلابد أن يدخل في باب «العقارات»، وهذا الباب هناك قوانين تنظمه، كما أنه يخضع لقوانين الضرائب، وإذا كان وهميّا فإنه يدخل في باب الاحتيال، وهو ما يعاقب عليه القانون.

وهنا ينبري ثالث من أصدقاء الشحاذين للرد، فيقول إن الشحاذة هي أقرب إلى المشورة، يعني كما يستشير المريض طبيبه ويتلقى الطبيب بدل استشارة، فإن الشحاذ بكلامه ونداءاته وبوجوده الشخصي يطرح نموذجاً أمام الناس، ويريهم عمليًا حالة أي واحد منهم إذا فقد عمله ومصدر رزقه وهو بالتالي يحفزهم على العمل وضرورة النشاط فيه.

... وحسنة لله يا محسنين، فالرحمة هي كلمة مفقودة في القاموس الأمريكي.

وزراء مفضوحون.. وآخرون معصومون

الآن فقط عرفت لماذا كانت فترة حكم السيدة الفاضلة.. المشهورة بالحديدية مارجريت تاتشر من أطول فترات الحكم التي شهدتها بريطانيا. فهي لم ترتكب أي نوع من الفضائح بالقياس إلى العديد من الوزراء الذين توالوا على الحكم وتوالت معها الفضائح من كل صنف ولون، آخرها هي محاولة وزير خارجية بريطانيا روبن كوك تغيير سياسته الداخلية بالكامل حيث قرر التخلي بعد عشرة استمرت ٢٨ عاما عن زوجته «القديمة» والزواج من سكرتيرته الحسناء التي تصغره في العمر، أي أنه قرر ان يمارس سياسته الخفية في العلن على عكس ما تقتضي أمور البروتوكول.

وكالعادة أعلن رئيس الوزراء أن هذا الأمر لن يؤثر في ممارسة الوزير لمنصبه. اعتقد أنه تصريح مؤقت. فقد سئلت مرة زوجة أحد الوزراء البريطانيين: لماذا تسكتين على خيانة زوجك؟ فقالت: لأنه كل مرة يخونني فيها يترك لي بطاقة الاعتماد مفتوحة.

ليست هذه هي الفضيحة الأولى ولن تكون الأخيرة بالتأكيد. وقد صعدت حياة الوزراء البريطانيين إلى العلن مع فضيحة الوزير بروفيمو الذي ارتبط بكريستين كيللر في الستينيات، واكتشف وقتها أن عارضة الأزياء الحسناء كانت على علاقة في نفس الوقت بجاسوس سوفييتي، وكانت فضيحة غذتها صراعات الحرب الباردة التي كانت محتدمة في

ذلك الوقت. ثم توالت الفضائح. وزير مصاب بالشذوذ وآخر يتوقف ليتفاوض مع إحدى فتيات الليل واقفة تحت عمود نور وآخر يأخذ رشوة من الفايد.. ومسلسل لا ينتهي من الفضائح أظهرت كل الوزارات عدم أهميتها في البداية ثم سقطت بسببها. ولكن ماذا عن وزراء العالم العربي الأفاضل؟!

الصورة مفرحة بالفعل، فلا توجد فضيحة قد ثارت إلا وتم «قتلها» في المهد إما بالنفي الجازم أو فصل الصحفي الذي كتب الخبر أو إغلاق الصحيفة التي نشرت هذا الخبر. بالطبع لا يملك الوزراء البريطانيون الضعفاء هذه السطوة، لأن هناك قوانين غريبة في هذه البلاد تسمح بحرية النشر بل وتحمي أيضا مصدر الخبر، بل والأعجب من ذلك هو محاولة اتهام أي وزير عربي في ذمته المالية. فكل واحد منهم يدخل الوزارة ولا يملك فلسا ولا وثيقة واحدة، ثم يخرج منها وهو يملك الملايين وعشرات الوثائق التي تثبت نزاهته وبراءته. ولم يحدث في أي بلد من العالم العربي أن تم التحقيق مع أي مسئول حول مصادر ثروته المفاجئة ولم يخرج منها بريئا، بل أثبتت التحقيقات في أحد البلاد أنه كان يتبرع بمرتبه لصغار الموظفين إمعانا منه في النزاهة والزهد.

هل أدركتم لماذا قلت إن الصورة عندنا مفرحة؟ لقد كان الإمام محمد عبده يلعن دائما فعل ساس ويسوس ويرى أنه أساس كل البلاء ولم ينتظر أن يرى النعيم الذي يجنيه البعض من جراء استعمال هذا الفعل بطريقة جيدة، فهي تحرك حياتهم وأفكارهم وشهواتهم وجشعهم وطموحاتهم وقسوتهم، وأيضا.. لطفهم وكرمهم. وفي إطار السياسة ترى الخير والشر من منظور مختلف، لا يعترف بالمفاهيم السائدة، ولا يسأل

أحد نفسه هل عشت حياة خير او شر؟.. هل أحسنت أم أسأت صنعاً.. ولكنه يسأل نفسه فقط ماذا جنيت؟

عموما لا عزاء للوزراء البريطانيين «العمال» الذين ما إن تولوا الوزارة حتى بدأت تلاحقهم الفضائح ومرحى لمسئولي العالم العربي الذين لا تلتصق بثيابهم الناصعة أي شائبة.

عيادات لتوليد النقود

كلنا يعرف الطرفة الشهيرة عن جحا الذي أعار جاره قدراً فأعاد الجار القدر في اليوم التالي ومعها قدر أصغر منها، وعندما سأل جحا جاره عن سر القدر الصغيرة، قال الجار: لقد ولدت قدرك عندي عندما استعرتها وها أنا أعيدها ومعها ابنتها.

وفرح جحا بالمولودة الجديدة وصار يعرض القدر على جاره يوميا لعله يستعيرها وتلد مرة أخرى، وعندما طلب الجار في إحدى المرات استعارة القدر، لبى جحا الطلب على الفور، ثم انتظر أياما والجار لم يحضر القدر، وعندما سأله جحا عما إذا كانت القدر تعاني من مخاض عسير أثناء الولادة، ضرب الجار كفّاً بكف، وقال بأسى: ماتت القدر أثناء المخاض و.. البقية في حياتك. وعندئذ صرخ جحا: ولكن القدر لاتموت ورد الجار: تصدق أنها تلد ولاتصدق أنها تموت؟!

ولعل المحتالين من إخواننا في القارة السمراء سمعوا الطرفة فانتشروا في دول الخليج وصولاً إلى لندن بحثاً عن جحا، وقد كانوا دائماً يجدونه، فقد قرأت أن ٣ محتالين في دولة خليجية استطاعوا أن يقنعوا أحد التجار بأن الورقة المالية من فئة ٥٠٠ درهم يمكن أن تلد ورقة من فئة ١٠٠ درهم، أما الورقة من فئة ١٠٠ دولار فيمكن أن تلد مثلها توأماً أي ٢٠٠ دولار، ونجحوا بذلك في الحصول على مبلغ يزيد على ٩٠ الف دولار قبل أن يعلنوا وفاة القطع كلها بالجملة.

وكنت أعتقد أن جحا لايمكن أن يوجد إلا في العالم الثالث أو في خليجنا الذي يفيض بأصحاب النوايا الحسنة، ولكنني اكتشفت أن جحا يمكن أن يكون بريطانيًا ينحدر من صلب شكسبير، فقد أقنع الجيران السمر الأشقر البريطاني أن كل ١٠٠ جنيه إسترليني يملكها تساوي مائتين، وعندما تناولوا منه ورقة من فئة العشرين جنيهاً وضعوا لصقها ورقة بيضاء وصبوا محلولاً «سحريا» فإذا بالورقة البيضاء تصير، كما عصا موسى، ٢٠ جنيهاً تسعى بين يديه، وضاعف البريطاني الأوراق النقدية إلى أن صارت ألفاً وإذا بها تعود بقدرة جار جحا ألفين بالتمام والكمال، ربما أن جحا البريطاني لم يكن يملك أكثر من ١٨ ألف جنيه إسترليني فقد نقدهم إياها كلها.. على أمل أن يصحو في اليوم الثاني على المبلغ مضاعفاً، ولكن الوباء كان قد سبقه فحصد الثروة كلها، ومعها المحتالون السمر.

وفي الحقيقة فإن في هذه الوقائع مايشبه السحر إذ كيف يمكن أن يقتنع إنسان عاقل بأن أحدهم قادر على أن يضاعف ثروته، بينما يبقى هذا الأحد فقيراً لايستطيع مضاعفة ثروته الشخصية. وأعتقد أن في القول المأثور «الطمع يعمي» الكثير من الصحة، فقد أخبرتني صديقة كيف خسرت ٧٥ الف دولار هي كل ماتملك، قالت إن صاحب مصنع جاءها وعرض عليها أن يدفع لها شهريًا ١٠٠ دولار عن كل ألف دولار تعيرها له وصدقته. أعارته في السنة الأولى ألفاً وفي الثانية ٥ آلاف وفي الثالثة ١٠ آلاف وفي الرابعة ١٥ ألفاً وكان يدفع عن كل ألف كما وعد مبلغ مائة دولار، وعندما اكتشفت بعد ٦ أشهر أنها قادرة على أن تحصل

خلال عام واحد على كل مادفعته مع زيادة ٢٠٪ نقدته كامل ثروتها، والبقية معروفة.

ومع وجود هذا العدد الكبير من آل جحا ليس مستغرباً أن يزيد عدد عيادات توليد النقود على عدد عيادات توليد النساء.

والبقية في حياتكم!

مطلوب طرزان أو قرود عسكرية.. للتبني!

الدعوة صدرت عن وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» وهي موجهة إلى «كل من يهمه أن يتبنى... شمبانزي».

والشمبانزي، كما هو معروف، نوع من القردة، وفي نص الدعوة يقول البنتاجون بأسف إن الكونجرس الأمريكي قرر تخفيض ميزانية وزارة الدفاع ومن هنا فإن التخفيض أدى إلى خروج ١٤٣ قرداً من دائرة العمل، والاستغناء عن هؤلاء في التجارب الأرضية والجوية، ولأن الميزانية بعد تخفيضها لم تعد تتحمل «إعالة» هذا العدد الكبير من القردة فإن الوزارة تجد نفسها مضطرة للإعلان إلى الراغبين ودعوتهم إلى «تبني شمبانزي أو أكثر، شرط توفير البيئة المناسبة والرعاية التامة له بعد التبني».

وفي التفاصيل أيضاً أن «هذا القطيع من القردة ينحدر من ٤ إناث وذكر واحد تم استيرادها من إفريقيا في العام ١٩٥٩، بقصد استخدامها في التجارب الفضائية، وأعمار أفراد القطيع تتراوح بين الطفولة والعقد الثالث، وهي أليفة إلى حد أنها تتعاون مع العلماء في المختبر للقيام بالتجارب عليها».

والمشكلة أن البنتاجون لم يحدد نفقة تبني القرد الواحد، وهل يدفع الأب الجديد كامل المبلغ دفعة واحدة، أم بالتقسيط، ولكنه وضع رقم هاتف للاتصال.

وبما أن مناسبة من هذا النوع لايمكن أن تتكرر فإنني سوف أقوم

بمساعدة البنتاجون والكونجرس الأمريكي على تقليص النفقات العسكرية فلعل هذا التقليص يخفف عن كاهلنا نحن دول العالم الثالث بعض النفقات التي يعتبر البنتاجون أننا مازلنا قادرين على دفعها لحماية النظام العالمي الجديد، فأقول أولاً إن هذه القرود التي يدعونا البنتاجون إلى تبنيها هي قرود تحمل الجنسية الأمريكية لأنها ولدت في أمريكا ومضى عليها مايزيد على ثلاثة عقود وبالتالي تملك جميع حقوق المواطنة، ولعل الأب المتبني لأحد هذه القرود يستطيع الحصول على الجنسية الأمريكية إذا كان القرد تجاوز الثامنة عشرة من عمره وهو مايؤهله لأن يطلب لأبيه الجنسية. بغض النظر عما إذا كان القرد ذكراً أو أنثى، فالقانون الأمريكي لايميز في الجنس ولا في اللون ولافي الدين.

وأقول ثانياً إن هذا القرد عسكري بالولادة، فهو تربى في القواعد والثكنات والمختبرات، ولأن الطاعة هي أبرز شروط الخدمة العسكرية فإن «الأب» لن يلقى أي متاعب في إصدار الأوامر وفي ضمان تنفيذها من قبل القرد إلى حد أن هذا الأب ربما يجعل القرد نموذجاً يعرضه أمام أولاده ليعلمهم كيف تكون الطاعة، كما أن هذا القرد، كما حدد البنتاجون مواصفاته، يتعاون حتى على إجراء التجارب على نفسه، يعني أنه يضحي بنفسه في سبيل سيده، والمصلحة العالمية، مما قد يجعله نموذجاً أيضاً يعرضه بعض الحكام أمام شعوبهم ليقتدوا به في خدمة المصلحة العامة و... السيد.

وأخيراً أقول إنه في الحد الأدنى فإن باستطاعة الأب المتبني أن يفتح لثلاثة أو اربعة قرود سيركاً يقوم بحفلات ويجذب الأطفال على ان يعود ريع هذه الحفلات إلى مؤسسات وجمعيات خيرية تقوم برعاية الأيتام والأطفال المشردين في دول العالم الثالث الذين سقط آباؤهم غالباً

بأسلحة..لا علاقة للبنتاجون ولا بأي بنتاجون آخر بها، ويتيحون بالتالي لوزارات الدفاع والحرب التفرغ للمهام الكبيرة بدل الاهتمام بأطفال اللاجئين.

هل تذكرون «شيتا» حبيبة قلب طرزان؟ حسناً، إن تبني القرود لم يعد مسألة صعبة بعد أن تحول العالم كله إلى غابة صغيرة.

دون حساسية

منذ عدة شهور كتبت في هذه الزاوية مقالا ضاحكا حول الشقراوات وما يقال عنهن من نكات. ولم يعترض أحد. ربما لقلة عدد الشقراوات في عالمنا العربي. وقد شجعني هذا لكي أواصل المزاح مع فئة أخرى أكن لها الاحترام هي فئة المحامين. وقد قامت الدنيا ولم تقعد منذ ذلك الحين. ومازالت خطابات الاحتجاج الصاخب من السادة المحامين تتواصل على المجلة، وهي تشرح لنا البدهيات حول نبل مهنة المحامين ودفاعها عن الحق والعدل، وهي أمور نعرفها جيداً وإن كنا نشك في أن بعض المحامين يلتزمون بها وهؤلاء هم الفئة الذين دار حولهم مزاحنا..

والأمر يذكرني بما كان يحدث في الأفلام العربية قديما. فما إن يظهر على الشاشة طبيب منحرف حتى تهيج نقابة الأطباء، أو محام فاسد فتثور نقابة المحامين. بل بلغ الأمر أنه عندما صور شرطي مسكين وهو يتقاضى رشوة ضئيلة هاجت وزارة الداخلية وقررت وقف الفيلم.

ولا أدري من أين جاءت هذه الحساسية المفرطة. ربما لأننا أصبحنا نأخذ النكتة كدليل اتهام. وربما لأن بيوت الجميع من زجاج واهن. وأي هبة من الريح تصيبه بالشروخ. وأقول لأصدقائنا من المحامين لا داعي لتذكيرنا بالبدهيات. فنحن نمزح ولن نتوقف عن المزاح.

طالت هذه المقدمة قليلا ولم تترك لنا فرصة للمزاح مع أصدقائنا

الاقتصاديين كما كنا ننوي. فكما يقال إن هناك صنفين منهم، هؤلاء الذين لا يعلمون. وهؤلاء الذين لا يعلمون أنهم لا يعلمون.

فقد أرهقونا طويلا في الآونة الأخيرة، ففي تلك العقود القصيرة التي عشناها غيروا رأيهم أكثر من مرة من النقيض إلى النقيض، من التخطيط الشامل إلى الاقتصاد الحر. ومن مزايا ملكية الدولة إلى حتمية تدخل الأفراد. ومن القطاع العام إلى القطاع الخاص. وفي كل مرة يسوقون عشرات الحجج أنهم على حق. وتقول إحدى النكات الشهيرة إن الرئيس كلينتون قال لابنته شيلسي «كم حاصل جمع اثنين زائد اثنين». وقالت شيلسي على الفور «أربعة» ويبدو أن هذه الإجابة لم تقنع كلينتون فاستدعى أحد علماء الرياضيات الذي أخرج ورقة وقلما وأخذ يحسب ويعيد الحساب لمدة ساعة ثم قال: «أربعة». واستدعى الرئيس أحد كبار الاقتصاديين وسأله فقال له بهدوء «كم تريد أن تكون النتيجة يا سيدي الرئيس؟».

ويقال إن كل الدراسات الاقتصادية تؤكد دائما أن أفضل وقت لشراء أي شيء هو العام الماضي. والاقتصادي هو الخبير الذي يعرف غدا أن الأشياء التي تنبأ بها بالأمس لم تحدث اليوم. وإذا كذب الاقتصاديون من البداية إلى النهاية فربما توصلوا إلى نتيجة. وكل الرجال العمليين هم ضحايا لاقتصاديين ميتين. وإذا وضعت اثنين من الاقتصاديين في غرفة واحدة فسوف تحصل على رأيين. أما إذا كان أحدهما هو اللورد «كينز» الشهير فسوف تحصل على ثلاثة آراء. والاقتصادي هو الشخص الذي يرى شيئا يتم إنجازه على المستوى العملي ويتساءل إن كان يمكن إنجازه على المستوى النظري.

واسأل أي اقتصادي شيئا فسوف يجيبك بسؤال. وأختتم كلماتي

بنكتة قديمة جاءت من آخر استعراض عسكري أقامه الاتحاد السوفييتي السابق عندما وقف جورباتشوف يستعرض مرور الدبابات ثم الصواريخ والطائرات ثم فوجئ بعشرة من الرجال يلبسون السواد ويسيرون خلف الاستعراض وهتف جورباتشوف في دهشة «من هؤلاء؟ .. هل هم جواسيس؟» ولكن مندوب الكي بي جي همس له.. «إنهم اقتصاديون، تخيل لو أطلقناهم فوق أمريكا..».

وإلى أن نلتقي دون غضب.. ودون حساسية.

سيد النور.. أم الظلام؟

في الفيلم الوحيد الذي كتبه تحت عنوان «سيد النور» يتخيل د. دباك شوبرا الشيطان قد عاد إلى الأرض وترأس إحدى حلقات السحر وأخذ يعد أتباعه بكل وعود الثراء والخلود والصحة الدائمة. ولعل هذا ما يقوله نقاد شوبرا عنه. فهم يتهمونه بأنه دجال يستغل شهادته العلمية وأصله الهندي ليوهم اتباعه بأنه يقدم لهم حلولا لكل مشاكلهم الجسدية والروحية. ولكن شوبرا لايبالي بتلك الانتقادات فشهرته طاغية والذين يدينون له بالطاعة والولاء لايتأثرون بأي نقد، وقائمة المشاهير الذين يترددون على عيادته يتباينون بين أكبر الأثرياء في العالم وأشهر النجوم في هوليوود، وكتبه تحتل دائما رأس قائمة المبيعات. فعندما ظهر في برنامج أوبرا الشهير قال للمشاهدين إن بإمكانهم أن يواصلوا حياتهم بلاشيخوخة، بدا كأنه قد ضرب على الوتر الحساس الذي يهم الجميع وقد بيع من كتابه «أجساد بلا عمر وعقول بلا زمن» حوالي ١٣٠ ألف نسخة في يوم واحد.

الدكتور دباك شوبرا بدأ حياته كأي مهاجر جاء إلى أمريكا من الهند في عام ١٩٧٠. كان مفتونا في بداية الأمر بالطب الغربي ومتخصصا في علاج الغدد الصماء ولكنه اكتشف أن العلاج الحديث ليس كافيا في مواجهة العديد من المشاكل التي يعاني منها المجتمع المعاصر، وقرر أن يعود إلى الجذور، لاكتشاف الحلول التي وضعتها البوذية للخلاص البشري. وقد أعاد أسلوب «الكارما» أو التأمل الذاتي إلى حيز الممارسة.

والكارما هي أحد المستويات العقلية التي يجب أن يصل إليها المرء في كل طور من أطوار وجوده، بوصفها العامل الذي يقرر قدر هذا المرء في أحد أطوار التناسخ التالية. ويقول شوبرا: «أنت تستطيع أن تغير العالم الموجود داخل جسدك عندما تستطيع أن تغير من درجة إدراكه» فالعالم في رأيه هو مجرد عبور من مستوى العلم إلى مستوى الإدراك.

فأنت لاترى الأشكال كما هي ولكن الطاقة الموجودة داخل الوعي هي التي تعطيه الشكل الذي تراه، وتحكمك في هذه الطاقة، يعني تحكمك في جسدك وفي مقاومتك للأمراض وللشيخوخة وكل عوامل التحلل. ويوصي شوبرا أتباعه بالتأمل والصمت. وهو يمارس هذا العلاج على نفسه فيقضي خمسة أيام كاملة من الصمت لايتفوه فيها بكلمة واحدة وذلك كل ثلاثة شهور.

وآخر كتاب أصدره هو «سبع نصائح روحية للآباء» حقق أعلى المبيعات وهو الكتاب التاسع عشر له وكلها حققت نفس الأرقام القياسية، كما أن محاضراته التي يحضرها جمهور غفير توزع الآن على «سي. دي» مصاحبة بموسيقى وأغان آسيوية. كما أن له شبكة لتقديم الخدمات الروحية يشترك فيها خمسة آلاف مشترك من خمسين بلدا حول العالم، ويقوم بالإشراف على إنتاج مستحضرات طبية تحتوي على أعشاب خاصة تهب الطاقة والحيوية، وزيوت تستخدم في التدليك. وهو يلقي العديد من المحاضرات حول العالم من الهند حتى ايرلندا وأجره في المحاضرة الواحدة ٢٥ ألف دولار، كما أنه يعقد ثلاث جلسات روحية كل ثلاثة أيام في الأسبوع بعنوان «رحلة بلا حدود» وهو كما قلنا من قبل لم يترك حتى مجال السينما.

إنه ظاهرة عالمية، تسوقها أجهزة الإعلام الأمريكية الجبارة ورغبة

الناس في إيجاد حل لمشاكلهم المزمنة. وفي آخر لقاء عقده على الشاطئ الهندي حضره ٤٠٠ من المريدين ليستمعوا إلى محاضرات ويأخذوا الدواء وجلسات الصمت والتدليك وكان بينهم ألمان ويونانيون وأستراليون والكثير من عالمنا العربي الذي يسعده بالطبع أن يؤمن بمثل هذه الأشياء.

فهل شوبرا حقيقة علمية جديدة؟ أم سلعة صنعتها أجهزة الدعاية الجبارة؟ الله أعلم .

بريد القمامة!

هل تأملت بريدك يوما ولاحظت كيف يرتفع حجمه يوما بعد يوم؟ وهل لاحظت أن حجم الارتفاع يزداد كلما ترقيت في منصبك؟ وبناء على ذلك فلعلك تتصور حجم البريد الذي يصل إلى الشخصيات العامة والذي يمكن أن يصنع أهراماً من الورق كل شهر.

فالبريد لم يعد يقتصر على رسائل الأهل والأصدقاء ومراسلات العمل، ولكنه أصبح في حجمه الأكبر يحتوي على ما يمكن أن نطلق عليه «رسائل القمامة» لأن نصفها على الأقل يرمى في سلة القمامة دون أن يفتح. وهي أفخر الرسائل طباعة وتغليفا لأنها تحتوي على دعوات مغرية للشراء أو صور لبضائع من المحتم اقتناؤها، أو التبرع لجمعيات لم تكن تعلم بوجودها، أو للاشتراك في مشروعات وهمية ولكنها مضمونة الربح. وأشياء أخرى عديدة يحملها لك البريد المكدس كل صباح.

في الولايات المتحدة يبلغ متوسط ما يصل إلى الفرد من هذه الرسائل ٥٥٣ رسالة شهريا. ويبدو أن مرسليها يعرفون كل شيء عن المرسل إليه. عاداته، هواياته، طريقة الشراء التي يفضلها، بل والأمراض المزمنة التي يعاني منها أيضا. وهم يحصلون على هذه المعلومات من مصادر عديدة،من الإحصاءات السكانية ومن أبواب القراء في الصحف ومن المشتركين في جمعيات النفع العام ومن موسوعات الأشخاص

المهمين وحتى من أوامر البيع التي يقوم بها الشخص. وقد ساعدت أجهزة الكمبيوتر على تجميع الملايين من هذه الأسماء ووضعت تحت كل اسم عشرات التفاصيل عن كل ما يخص حياته، وهذه القوائم هي ما أصبحت شركات «بريد القمامة» تجيد استخدامها.

وتبلغ كمية رسائل القمامة في الولايات المتحدة حوالي ٤,٥ طن كل شهر ومن المقدر أن تزداد إلى ضعفين في العام المقبل. وبرغم أن أكثرها لايفتح فإن كمية المبيعات التي تمت استجابة لها وصلت إلى ٢٤٤ بليون دولار منها ٤٢ بليون دولار تم الشراء بها بواسطة الكاتالوجات.ولابد لمثل هذه الظاهرة من أن تخضع للتحليل. وتحاول الشركات التي تنفق مبالغ طائلة أن تقيس مدى تأثيرها وفاعليتها. وتدل التحاليل على مدى أهمية الطابع الشخصي للرسالة. أي أن يحس الشخص أنها مرسلة له بالتحديد من شخص محدد. كما وجد أن أكثر الكلمات تأثيراً في النفس هي كلمة مجانا خاصة إذا كانت في الجملة الأولى من الرسالة. فعلى سبيل المثال هناك ثلاثة تعبيرات تقول نفس الشيء «٥٠٪ تخفيضا، نصف السعر، اشتر قطعة تحصل على أخرى مجانا» وبرغم أنها تؤدي نفس المعنى فإن الأخيرة هي الأكثر قبولا وتأثيرا. فلا تكتفي بقول «هدية» ولكن يجب أن تكون «هدية مجانية». بل والأكثر من ذلك فقد وجد أن مظهر الرسالة من الخارج له تأثير كبير. فالرسالة ذات الطابع الملصوق أكثر قبولا من الطابع المختوم، كما أن الرسائل التي لها نوافذ شفافة تجعل المتلقي يحس بالطابع الرسمي لها.

وعلى المستوى القانوني تثير «رسائل القمامة» مشاكل لا حل لها حتى الآن، فعلى سبيل المثال قامت إحدى جمعيات مساعدة الأطفال المصابين بالسرطان في واشنطن بإرسال ملايين الرسائل تطالب المرسل إليهم بالتطوع لمساعدة هؤلاء الأطفال. وإذا لم يكن هناك وقت فيمكن

التبرع بحوالي ٥ ـ ١٥ دولارا. وقد فضل الكثيرون الحل الأخير حتى بلغت حصيلة التبرعات ٢,٨ مليون دولار. وتدخل النائب العام ليرى كيف يتدفق هذا المبلغ وكيف يصرف ولكن المشكلة هي أنه لم تكن هناك قوانين فيدرالية تحدد ماذا تفعل أو لاتفعل بواسطة «رسائل القمامة».

والآن، هل كشفت عن بريدك اليوم، وهل رأيت ذلك العالم الغريب الذي تضعه رسائل القمامة تحت أنفك كل صباح، حذار منها إنها جميلة ومغرية ومليئة بالوعود، ولكن هناك فخا منصوبا خلف كل تلك الكلمات الجميلة.

أبريل وحماقاته

يقول الكاتب الأمريكي الساخر «مارك توين»: «في الأول من أبريل نكتشف الحقيقة التي حاولنا أن نخفيها طوال ٣٦٤ يوما..» إنه يوم الحماقات العالمية والأكاذيب التي يفترض أنها بيضاء والتي تتحول في أحايين كثيرة إلى كوارث. والأهم من ذلك كما قال مارك توين أنه يوم نسقط فيه كل الخبرات التي اكتسبناها في حياتنا ونصدق أكاذيب تافهة لمجرد أنها ترضي بعض الأهواء في نفوسنا.

أبريل الذي يبدأ دائما بكذبة مشتق من كلمة «أبرليس» وهي كلمة لاتينية تعني تفتح الأزهار. ولأنها قصيرة العمر فجمالها أكذوبة. ويقال إنه مشتق من اسم «أفروديت» إلهة الحب والجمال عند الإغريق. ولأن الحب شديد الندرة، والقبح أصبح سائداً فهو أيضا أكذوبة. في الشمال تختفي الثلوج، وتهاجر الطيور، وتخرج الحيوانات من سباتها الشتوي، وتزدهر اللؤلؤية الصغرى، وهي أزهار تتفتح مثل العين نهاراً وتنغلق أثناء الليل. وهي رمز لشهر أبريل مثل عطر الجلبان وحجر الماس. اما في الجنوب فنعيش بداية فصول الخريف وننتظر الذي يأتي ولايأتي.

في البداية، ووفق التقاويم القديمة، كان هذا الشهر هو بداية العام. وكانت تقام في هذا اليوم احتفالات صاخبة مليئة بالرقص والغناء كما يحدث في ليلة رأس السنة الآن. ولكن في القرن السادس عشر عندما تم وضع التقويم الجريجوري وأصبح يناير هو الشهر الأول وتراجع أبريل

ليصبح الرابع. وكانت فرنسا هي أول دولة في العالم تأخذ بهذا التقويم في عام ١٥٦٢ ولكن لم يسمع الجميع بهذا التغيير لذا فقد ظل البعض وعلى مدى سنوات يحتفلون ببداية العام في نفس الميعاد القديم وأطلق عليهم «حمقى أبريل». وبرغم أن الجميع يعلمون هذه الحقيقة الآن فإن حماقات أبريل لم تنقطع. فالجميع قد تفننوا في تدبير المقالب في هذا اليوم. وفي فرنسا يطلقون على هذا اليوم «سمكة أبريل» لأنهم يلصقون على ظهر الشخص دون أن يدري أوراقاً على شكل سمكة مكتوبا عليها كلمات ساخرة. وانتقلت العدوى الفرنسية بطبيعة الحال إلى بقية العالم. وأصبح من المألوف أن تشير المدرسة الوقور إلى سقف الفصل وهي تصيح بالطلبة: انظروا.. سرب من الأوز الطائر. أو يهتف الموظف في زميله: لقد خفضوا الراتب ٥٠٪. أو يقول التلميذ لرفيقه: المدارس معطلة اليوم. أو تهتف صديقة خفيفة الدم بإحدى الزوجات: أتعرفين من شاهدت اليوم. زوجك المحترم يجلس على شاطئ الخليج مع امرأة ترتدي ثوبا أحمر. وهكذا لاتقف حماقات أبريل عند حد. فهي تبدأ من الجنس وتنتهي في السياسة. وتخلط الحقائق بالأكاذيب كما يتم خلط الملح بالسكر. ويقال إن أفضل أكاذيب أبريل هي التي يضحك منها الجميع خاصة ذلك الشخص الذي كان ضحية هذه الكذبة.

وفي مقابل هذا نجد حضارة من نوع آخر ففي مثل هذا اليوم يحتفل الصينيون بمهرجان الطهارة والإشراق حيث لايكذب أحد، حيث يبعث الأمل. وحيث يتبادل الناس زهور المودة الصفراء تفاؤلا بشهر جميل اسمه أبريل.

إدمان «التيتانيك»

هل يمكن أن يقال شيء آخر عن فيلم «التيتانيك» بعد كل ما قيل؟

لقد تحول من مجرد فيلم إلى ظاهرة. أو حمى عالمية. وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليهم «مدمني التيتانيك» هؤلاء الذين شاهدوا الفيلم أكثر من خمس مرات مصطحبين معهم في كل مرة لفات «الكلينكس» بدلا من أكياس «الفيشار» التقليدية. لقد تخطى الفيلم حاجز المليار دولار وأصبح واحداً من أكبر الأفلام التي حققت إيرادات في تاريخ السينما،وحصاداً لجوائز الأوسكار. وهذا ليس بغريب على الهوس الذي انتاب المتفرجين. ففي المكسيك ينامون أمام باب السينما. وفي جنوب فرنسا حضر الفيلم عدد أكبر من عدد السكان مما يعني أنهم قد شاهدوه أكثر من ثلاث أو أربع مرات. وقد كان إنتاج الفيلم بكلفته الضخمة مغامرة كبرى. لم يبتسم المنتجون إلا بعد ٥٣ يوما من عرضه عندما وصلت الإيرادات إلى ٦٢٥ مليون دولار. واتسعت الابتسامة مع تواصل الإيرادات. ورغم أن طول الفيلم يفرض على دور العرض ثلاث حفلات يوميا فقط فإن المقاعد دائما كانت ممتلئة. وكان معظم المشاهدين من النساء «٦٠٪ نساء مقابل ٤٠٪ رجال» اللواتي تقل أعمارهن عن ٢٥ عاما. ورغم أنه فيلم «البطل الميت» فإن هذه النهاية الحزينة لم تمنع تدفق المشاهدين. وليس سبب النجاح هو روعة الإخراج والتمثيل واستخدام وسائل الإبهار. فقد أصبحت هذه من مسلمات السينما

الأمريكية. وكان النجاح الحقيقي في الأثر الذي يتركه هذا الفيلم في النفس، وما يثيره من قضايا. فهو فيلم له أكثر من جانب. يمكن أن نعده فيلما رومانسيا يقوم على الحب. ويمكن اعتباره مأساة تاريخية. ويمكن أن نرى في السفينة رمزاً لكل طبقات العالم. الطبقة الأرستقراطية في الأعلى، والمهاجرون الحالمون في الوسط، والعمال الضائعون وسط المحركات والمراجل في الأسفل. إنه فيلم عن العواطف العظيمة والحياة والحب والموت في لحظة واحدة. ينظر إليه النساء على أنه يصور حركة تحرر المرأة. فبطلة الفيلم «روز» تتحول من مجرد فتاة ارستقراطية جميلة تنفذ ما يملى عليها إلى إنسانة تملك القدرة على تقرير مصيرها واختيار من تحب ومن تكره، وبالتالي فإن عشرات المشاهدات يشعرن بأن روز تتحرك تحت جلودهن.

ويرى الرجال في الفيلم دليلا على كبرياء الرجل حتى وهو يواجه الموت وقدرته على البذل والتضحية، حتى في أحلك اللحظات. كما أن بطل الفيلم ليوناردو دي كبريو يثير إشكالية أخرى. فقد قالت عنه بطلة الفيلم «كيت وينسلوت» إنه «أجمل رجل شاهدته في حياتها» والكثيرات تشاركها في هذا الرأي. ويرى النقاد أن هذا الجمال فيه الكثير من الطابع الأنثوي الذي يضفي الإحساس بأنه يملك روحا حساسة تقارب أرواحهن. وهو إحساس له جذوره في القرن التاسع عشر، وإلى الافتتان الأنثوي بالطراز الذي كان يمثله اللورد بايرون الشاعر المعروف. وفي الفيلم لا يقوم البطل بمشاعر الغرام بقدر ما يقدم المساعدة للبطلة، بحيث تصبح مخلوقة لها قيم ومبادئ تسعى إلى تحقيقها.

وفي رأيي أن أحد أهم أسباب نجاح الفيلم هو شعور «الإزاحة النفسية» الذي يحدثه في داخلنا، فنحن نشعر بالراحة لأننا لسنا ضمن أفراد هذه الكارثة.

وتجعلنا مشاهد القيامة والموت التي تتراءى أمامنا نحس بالتطهر من كل التوترات ومخاوف الموت والفجيعة، وفي رأيي أن هذا الشعور هو السبب الرئيسي وراء انتشار ظاهرة إدمان «التيتانيك» وهو أخف وطأة من ظواهر الإدمان الأخرى.

نهاية العالم

«العالم سوف ينتهي في العام ٢٠٢٨م، أي بعد ٣٠ عاماً بالتمام والكمال «هذا ما بشرنا به المدعو بريان مارسدان، وهو يحتل منصب مدير المكتب الرئيسي للبرقيات الفلكية في مختبر سميثونيان الفلكي في كامبريدج الواقعة في ولاية ماساشوستس الأمريكية.

قال بريان إن نيزكاً يصل قطره إلى حوالي ميل سوف يقترب من الأرض. كما لم يقترب منها أي نيزك آخر من قبل، بل وسوف يكون أقرب إليها من القمر، وبالتالي فإن احتمال أن يصطدم بها هو أمر ممكن.

هل تنفجر الأرض إذا أصابها هذا النيزك؟

يرد بريان: ليس تماماً، فقد حدث قبل ٦٥ مليون عام أن اصطدم كوكب قطره حوالي ٦ أميال بالأرض ونتج عن ذلك الاصطدام طاقة تزيد ٥ مليارات مرة على الطاقة الناتجة عن تفجير القنبلة التي دمرت مدينة هيروشيما، أي يمكن أن تتغير تضاريس الكرة الأرضية كلها وتحدث حرائق، بحجم القارات، كما سوف تزول مدن، ويمكن أن ينتج عن الاصطدام سحب من الغبار الكثيف تؤدي إلى «صقيع أرضي» يؤدي إلى إبادة الزرع والضرع.

يكفي هذا. هذه الرؤية لنهاية العالم تتكرر منذ فجر التاريخ، والفرق أن الذين كانوا يطلقونها هم السحرة أو المشعوذين أو المنجمين، أما اليوم فيطلقها العلماء، سحرة هذا العصر، والمشكلة أن هناك من يصدقهم،

وخاصة شركات التأمين، إذ ما إن أطلق السير بريان رؤياه حتى بدأ خبراء شركات التأمين في حساب النتائج، وكما الوباء انتقلت عدوى هذه الحسابات إلى البنوك والشركات العقارية التي تمنح قروضاً تمتد على مدى ٣٠ عاماً لشراء المنازل، كما امتدت إلى شركات المقاولات والبناء، وهذه بدأت تحسب إذا كانت سوف تضيف عدداً من الطوابق أسفل المبنى يمكن أن تتحول إلى ملاجئ من الهول المقبل.

حسابات أهل المال والأعمال التقت حول سؤال واحد: هل تستطيع أن تحسب بدقة وأن تحدد القارة التي سوف يضربها النيزك في العام ٢٠٢٨. أي المنطقة التي يمكن أن تكون بلغة هذه الأيام «عين الإعصار»؟

العالم الفلكي قال: إن هذاممكن في العام ٢٠٠٠ وفي العام ٢٠٠٢، حيث سوف يدور النيزك في هذين العامين حول الأرض، ويكون على مسافة تسمح لنا بتحديد القارة التي سوف يضربها في الموعد المحدد.

أبرز ما طرحته شركات التأمين في هذا السياق هو إضافة بند إلى بوليصة التأمين يعفي الشركة من الدفع إذا كان الموت ناتجاً عن سقوط نيزك على الأرض، أما إذا أصر المؤمن على حماية نفسه ضد النيازك أيضاً فلابد عندئذ من رفع بدل التأمين عدة أضعاف حماية للشركة من احتمالات الإفلاس.

العجيب أن رؤية العالم الفلكي المدعوم بالتكنولوجيا الحديثة لم تدفع أهل المال والأعمال إلى التفكير بالموت وبالتالي توزيع بعض ثرواتهم أو الاستمتاع بجزء منها على الأقل في هذه الحياة الدنيا، بل على العكس، فإنهم اعتبروا أن الضربة سوف تصيب «الآخرين» وبالتالي عليهم أن يكونوا مستعدين للحياة في «اليوم التالي» وبعد وقوع كارثة الكوارث.

أنا شخصيا مازلت أشعر بالاطمئنان لسببين: أولاً «كذب المنجمون ولو صدقوا» وهذا ما أؤمن به، وثانياً: لأن عالمنا العربي تناويت عليه الكوارث إلى حد بات معه يملك مناعة هائلة لمقاومتها ولو كانت في حجم نيزك.

وإلى اللقاء بعد العام ٢٠٢٨م.

عام بلا طعام (؟)

أنا مغرم بالأرقام القياسية. وموسوعة «جينز» هي كتابي المفضل، ومن هنا كنت أعتقد باستمرار أن من ضرب الرقم القياسي في الإضراب عن الطعام هو السجين السياسي الأيرلندي بوبي ساندس وقد مات في السجن عام ١٩٨١ إثر إضراب عن الطعام دام ٦٦ يوماً، لم يتناول خلالها لقمة واحدة.

ولكن زلزالاً ضرب هذه القناعة عندما قرأت عن الهندي شاجموني مهراج. هذا اسمه المختصر لأن الحقيقي يمتد على مسافة سطرين على الأقل. فهذا المهراج لم يتناول أي طعام مدة ٣٦٥ يوماً. أي سنة كاملة، وإنما كان يكتفي يوميًا، كما يقول أطباؤه. بكأس من الماء من دون أن تدخل حلقومه لقمة واحدة.

المهراج لم يكن يضرب عن الطعام احتجاجاً، بل هو من قرر، وعن سابق قصد وتصميم أن يصوم مدة عام كامل تنفيذا وتأكيداً لتعاليم المذهب «الجانوي». وهو فرع من الهندوسية، ويقول هذا المذهب إن الإنسان في هذه الحياة يستطيع أن يستغني عن أشياء كثيرة يعتبرها ضرورية، بما فيها الطعام والملابس، وبالتالي فإن المهراج لايلبس أكثر مما يكفل ستر العورة، وهو لايملك حتى الحذاء، لأنه قطع من قريته إلى مدينة بومباي مسافة ٥٠٠كم حافياً.

أكثر من ذلك. عندما قرر أخيراً أن ينهي صيامه ويدفع في جوفه

اللقمة الأولى خلال عام، قال لطبيبه: «كنت أحب في الواقع أن أستمر في الصيام، ولكنني لم أفعل لأنني أحب فكرة الاعتدال، ولا أريد أن أتهم بالتطرف».

ومع أن هذه الحكاية نقلتها مجلة «النيوزويك» الأمريكية، ومعها صور أيضاً، إلا أنني لم أقتنع بأن إنساناً يستطيع أن يصوم مدة عام كامل، وأنا مع محبتي لرمضان شهر الخير والبركات، إلا أن متعتي فيه تكون كاملة عندما يصل في الشتاء، حيث النهار أقصر، وقد سألت طبيباً مختصًا بالتغذية إذا كان جسم الإنسان يتحمل أن يبقى كل هذه المدة من دون أي غذاء، فقال: بالتأكيد لا. ثم فكر برهة وقال: أعتقد أنني وجدت السبب، إذ إن الهنود غالبا مايتناولون منقوع الرز بدل الماء، أي المياه التي يطبخون فيها الرز، ولعل ذلك الهندي كان يعيش على ذلك المنقوع.

وشعر الطبيب بأنه أسدى لي خدمة، وكأن كأساً من منقوع الرز يوميًا تعني أن الإنسان تناول فيلاً (١).

لعل السر في أن هذا المهراج بدأ يتدرب منذ كان عمره ١٤ عاماً على الصيام، يعني أمضى فترة تدريب على الجوع تزيد على ٣٠ عاماً، وبالتالي خطرت لي فكرة ربما يمكن للمنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة أن تتبناها وهي لماذا لاتقيم معسكرات تدريب على الجوع في بلدان إفريقيا التي تضربها المجاعة، وكذلك معسكرات مماثلة في بلاد كيم إيل سونج، حيث مات ٣ ملايين نسمة خلال أقل من أربع سنوات بسبب الجوع؟ ولو اعتمدت الأمم المتحدة هذا الحل لاكتفت بمنقوع كيس من الرز تطعم به قبيلة كاملة على مدى شهر ثم تعيد تصدير الرز إلينا!

ونحن والحمد لله قوم يقدرون النعمة، ولايكفون عن تلاوة ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾.

... ومع ذلك فإن أكثر ما أخشاه هو أن يلتقط بعض الزعماء في العالم الثالث الفكرة، فيبدءوا في فرض «الصيام الإلزامي» على شعوبهم تحت شعار حماية الأمن الغذائي للدولة... وللحاكم.

زهرة الشباب الزرقاء!

في الأسطورة يغوص جلجامش تحت مياه الخليج بحثا عن زهرة الشباب الدائم. وعندما يحصل عليها ويخرج إلى الشاطئ ينام من شدة التعب وتنتهز «الحية» هذه الفرصة - كما يحدث غالبا - وتأكل الزهرة وتكتسب هي سر الشباب فهي تبدل جلدها القديم وتخرج منه حية جديدة كل فترة من الزمن.

زهرة الشباب الدائم الأسطورية تحولت إلى حبة صغيرة زرقاء. ولم تعد توجد في قاع الخليج، ولكن على أرفف مخازن السوداء. إنها حبة «الفياجرا» التي تحولت بقدرة قادر إلى قضية تشغل العالم كله. ورغم انها ليست هي المرة الأولى التي يصدر فيها دواء من هذا النوع - تذكروا هـ ٣ على سبيل المثال - فإن ضجة الفياجرا تجاوزت كل الحدود. وإذا كان لكل حضارة رموزها الخاصة للإخصاب فهل يمكن أن تصبح الفياجرا هي الرمز لحضارتنا الجديدة؟

إنها حلم العجائز والشباب وحلم الرجال والنساء أيضا. ومنذ أبريل الماضي وحمى «الفياجرا» تتصاعد مبشرة بكل الوعود، فالعجائز سوف يستعيدون النشاط المفقود. والشباب سوف يتحولون إلى ماكينة لا تهدأ، والنساء سيكتسبن المتعة التي فقدنها مع سن اليأس. وبلغ الزحام حول الأطباء في أمريكا حداً كبيراً حتى أنهم وضعوا الوصفة الخاصة بها على أختام من المطاط يختمون بها كل الوصفات، لأن الأعراض التي يشكو منها المرضى لا تتغير ومطلبهم للعلاج لا يتغير أبداً.

ولكن المشكلة كانت هي كلفة هذا الدواء الذي تبلغ سعر الحبة منه

حوالي عشرة دولارات أمريكية. وكان سؤال شركات التأمين الصحي: هل يتم الإنفاق على المتعة الجنسية من أموال التأمين؟ وكيف يمكن تحديد من يحتاج إلى العلاج؟ وإذا كان الأمر كذلك فكم قرصاً يكفيه؟ مرة في الأسبوع.. مرتان؟ أسئلة كثيرة وخطورتها أن الذين يعانون في أمريكا من مرض العجز الجنسي هذا يبلغ عددهم ٣٠ مليونا ولو تناول نصف عددهم قرصا واحدا كل أسبوع لبلغت كلفة الفياجرا وحدها ٨ بلايين دولار، وهي كارثة تهدد بعدم الإنفاق على الأمراض الأخرى.

حلا لهذه المشكلة تقول بعض الشركات إن احتياج أي مريض في الشهر يجب الا يتجاوز الحبات الست. وعلى شريطة أن يقدم شهادة صحية تثبت أنه بالفعل يعاني العجز الجنسي. ولكن الأطباء يردون على ذلك في حيرة. كيف نؤكد ذلك؟! لا يوجد فحص دم ولا قياسات موضوعية تثبت ذلك. المسألة شخصية بحتة. وعلينا أن نتقبلها كما يقولها المريض.

الأخطر أن الشباب بدءوا في السعي خلف الفياجرا، وبأنه الدواء الذي يمكن أن يحقق كل خيالات الديسكو. وهي لا تعد مجرد خيالات، فالفياجرا بالتحديد لا يعالج إلا أمراض العجز الجنسي المزمن ولا يوجد أي دليل على أنه يحسن حالة الأشخاص الأصحاء. كما أن الإفراط فيه أو أخذه دون وصفة طبية يمكن أن يكون له أوخم العواقب وعلى الجميع الانتظار حتى لا تتحول فرحة وجود الدواء إلى مأتم، كما حدث في حالة دواء الميلاتونين الشهير.

إن حلم الشباب الدائم هو حلم مشروع، رغم أنه لا يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء. ويوجد بين الرغبة العارمة في الحياة والانتحار خيط رفيع علينا جميعا أن ننتبه إليه.

مع فياجرا أو من دونها

« أهل السمنة والبدانة والوزن الثقيل هم أكثر الناس خفة دم وبعداً عن التوتر والنرفزة».

هذا ما قالته مجلة «نيوسينتيست» العلمية أخيراً، في دراسة عن «الجينات» تبين خلالها أن البدانة تساعد على تقليص حجم جينات الكآبة وتخفيض عددها، بينما هذه تزداد وزناً وعدداً لدى أصحاب الأجساد الهزيلة، ولعل هذا ما دفع نعومي كامبل إلى محاولة الانتحار، ودفع صدام حسين إلى إصدار أوامره إلى القادة العسكريين بتخفيف أوزانهم، فقد كانوا مرتاحين جداً، وهو ما يدعوه إلى القلق، على نفسه بالطبع وليس على القادة، ولعل هذا ما يفسر أيضا انتصار كابيلا على سيسي سيكو، فأصحاب الأوزان الثقيلة يتمتعون غالباً بشعبية، ذات وزن ثقيل.

وقد حرصت على قراءة الدراسة بدقة، وعقدت العزم على استنساخها وتوزيعها باعتبارها نوعاً من الإطراء الذاتي، لولا أن مجلة علمية أخرى هي «ساينس مجازين» نشرت بدورها دراسة أعدها أخصائيو الغذاء في جامعة كولورادو الأمريكية، أكدوا فيها أن الأمراض التي تسببها البدانة ترفع من احتمالات وفاة أصحابها بنسبة تصل إلى ٦٠٪، مقارنة بأصحاب الأجساد من نوع «السعفة».

ومـا يزيد الطين بلة كما يقال هو أن الدراسة دعت المسئولين

الحكوميين إلى حملة لمكافحة البدانة على غرار الحملة التي تشنها الحكومة والمؤسسات الرسمية لمكافحة التدخين، والسبب أن البدانة في الولايات المتحدة تحولت إلى وباء، فقد ارتفع عدد أهل «الكروش» بمعدل الثلث خلال السنوات العشرين الماضية، ووصل إلى ٦٠٪ من مجموع السكان، وإذا استمر الحال على هذا المنوال خلال ربع القرن المقبل، فإن أمريكا كلها سوف تكون مرشحة باستمرار لبطولات الوزن الثقيل.

وتضيف الدراسة أن الأمريكي العادي يتناول في كل وجبة طعام ما يزيد على حاجته بنسبة تصل إلى ٥٠٪، وأحيانًا تزيد عليها، والسبب هو أن المطاعم بالذات تشجعه على ذلك، خاصة عندما تريد اصطياد الزبائن بأي ثمن، فتضع لافتات تقول «كل قدر ما تستطيع وادفع ٢٠ دولارًا فقط»، وبالطبع فإن الزبون في هذه الحالة سوف يأكل أولاً بما يساوي ٢٠ دولارًا، ثم يستزيد باعتبار أن هذه الزيادة مجانية، وليس هناك أطيب لدى الأمريكي من الطعام المجاني.

ولكن ماذا عن التمارين الرياضية؟ ألا تساعد في تخفيض الوزن؟ تجيب الدراسة: بالطبع إنها تساعد، ولكن انتشار التكنولوجيا وسرعة تطورها يكاد يقضي على اي أمل في أن يقوم الأمريكي ببذل أي جهد لتحريك جسم، وعندما يتم تغيير شبكات التلفزيون بواسطة الريموت كونترول، فإن الأمريكي العادي، بعد عودته من العمل مساء، لا يقوم إلا بثلاث حركات: الأولى إلى مائدة العشاء، والثانية إلى الأريكة لمشاهدة التلفزيون والثالثة إلى السرير.. حيث ينام.

وعلى الرغم من أهمية الدراسة الثانية فإنني مازلت مقتنعًا بالأولى، والسبب هو أنني في مطلق الأحوال أفضل خفة الدم والراحة والبعد عن النرفزة مع قصر العمر، على جسد هزيل بعمر طويل ودائم النكد، وثانيًا

أن الدراسة الثانية تخص الأمريكيين وحدهم، فهم يعتبرون أن الحركة الثالثة وهي الذهاب إلى السرير للنوم آخر الحركات.. أما عندنا، فهي على الأغلب والأعم بداية الحركة والبركة، مع فياجرا أو دونها..

.. والله يحب أن تظهر نعمته على عباده.

وداعا يا عم حاكم

أقول له وداعاً يا عم حاكم وأنا أدرك آسفا أنه لن يرد علي: سلاما يا عم أنور كما تعود أن يناديني دائما برغم فارق السن بيننا. لقد غيب الثرى تلك الابتسامة الصافية التي كانت تخبئ وجهه الأسمر ولحيته الشهباء. عرفته من رسومه قبل أن أراه. وكنت أعجب بهذه الروح الوثابة التي تنبض خلف كل خط من الخطوط. ثم أصبحت زميلا له في مجلة العربي فأصابتني العدوى من هذه الروح. كان قادراً على قلب يومي وإشاعة البهجة في تفاصيل العمل اليومية، ولم يكن يتوقف تقريبا عن الرسم وعن قول التعليقات الساخرة.

في المرة الأخيرة التي زرت فيها القاهرة كان راقداً على فراش المرض وكان معي زميلي الكاتب أبوالمعاطي أبوالنجا، كان وحيداً تقريبا، يبتسم لنا في وداعة. وعجبت بيني وبين نفسي كيف يجرؤ الموت على اقتناص هذه الابتسامة الوديعة. بعد ذلك امتلأت الغرفة بالعشرات، جاءوا يحملون الورد والحلوى والضحكات كأنما كانوا يدعمون وجوده على قيد الحياة. وتحولت ابتسامته إلى ضحكات برغم وهن جسده. كان معين الحياة في داخله لا ينضب. فبرغم أن الموت كان له بالمرصاد. وبرغم انه اختطف ابنته «منى» وهي في زهرة شبابها إلا أنه استطاع الانتصار عليه بسلاح ضعيف جداً هو الريشة التي كان يرسم بها.

قضى عم حاكم معنا في الكويت ٢٥ عاما كاملة. وكان يحلو له الحديث أحيانا عن والده الذي كان جنديا في حرس الحدود والذي

استقر في مصر برغم أنه سوداني الأصل وكان أمله أن يذهب ابنه إلى الكلية الحربية ليصير ضابطا صاحب سلطة ولكن ابنه هرب من رغبته وفضل أن يكون صاحب فن. كانت الابتسامة في داخله أقوى من أن يقتلها بأطماع السلطة. التحق بكلية الفنون الجميلة وأصبح رساماً صاحب أسلوب مميز لفت إليه الأنظار وقبل أن يأتي إلى الكويت كان قد شارك في أكثر من تجربة رائدة. اشترك في رسم أول فيلم مصري كرتوني للأطفال. كذلك شارك في إصدار أول مجلة مصرية خالصة للطفل هي «كروان» ثم أصدر مجلة كاريكاتير مع صديقه مصطفى حسين.

لقد طار «الكروان» إلى الكويت دون أن يتوقف عن الغناء. وجعل من مرسمه وبيته مزاراً مفتوحا لكل هواة هذا الفن الجميل. وأصبح هذا البيت في شارع هارون الرشيد معلما مهما لكل من تسمو روحه إلى هبة من الهواء العليل وسط القيظ. وعندما وقع الغزو العراقي الغاشم على الكويت اتصل بي ليقول إنه مختبئ داخل بيته ولن يغادره إلا بعد رحيل آخر جنود الاحتلال. ولكنه عرف أنهم يبحثون عنه في كل مكان للمساهمة في الجريدة التي كانوا ينوون إصدارها، وهكذا لم يكن أمامه مفر من الرحيل خفية من الوطن الذي أحبه.

عاد إلى القاهرة ورصيده من النقود «صفر» ولكن رصيده من حب الأصدقاء لا يقدر بالملايين. وبعد التحرير عاد يواصل عمله معنا من خلال مجلة العربي، وكانت العربي تخصص له دائما مقالتها الافتتاحية التي يكتبها د.محمد الرميحي. حتى وهو على فراش المرض كان يستعد لإقامة معرضه في الكويت. سوف نقيم المعرض ياعم حاكم وسوف نضحك معك ونحن نثق أنك سوف تبادلنا الضحكات فالموت لا يقدر على مقاومة سخرية فنان مثلك.

كلاب بين الشمال والجنوب

حالة أهل الجنوب الفقراء مع أهل الشمال الأغنياء هي أشبه بحالة جمعية رعاية الكلاب مع المحسنين في بريطانيا.

وحكاية جمعية رعاية الكلاب في بريطانيا هي أشبه بحكاية المواطنين مع بعض الحكام في العالم الثالث.

ونبدأ من رعاية الكلاب، فالمعروف أن الإنجليزي يفضل، إذا تعرض قاربه للغرق، أن ينقذ كلبه قبل زوجته، ومن هنا فقد قامت مئات الجمعيات الخيرية في بريطانيا، بناء على طلب الجماهير، لرعاية الكلاب الضالة، أو للدفاع عن الكلاب المقهورة، أو لتحسين نسلها، وبالطبع فإن تمويل هذه الجمعيات يعتمد على جيوب البريطانيين العاشقين للكلاب، ولكن جمعية من بين هؤلاء اختارت أن تجمع بين الإنسان والحيوان في سلة واحدة فأعلنت أن هدفها هو رعاية الكلاب المتخصصة في قيادة العميان، وتوفير كلب لكل أعمى، يتولى قيادته وحراسته والعناية به، بينما تقوم هي بتوفير مايلزم للكلب وليس للأعمى، وأعتقد أن هذا الهدف جماهيري لأنها لو قالت إنها ستقوم برعاية العميان لأحالها الناس إلى وزارة الداخلية أو الصحة أو المالية، لأن العميان ليس من شأنهم، أما إذا كان الموضوع هو عن الكلاب التي تقود العميان، فإن الأمر يتحول إلى قضية مصيرية.

المهم أن هذه الجمعية ومنذ سنوات تزاول مهمتها، وتعلن إنجازاتها،

مما اقتضى زيادة عدد موظفيها، ونسأل: لماذا الموظفون وليس المتبرعين أوالمتطوعين؟ ويأتي الجواب: لأننا نحتاج إلى خبراء ومحترفين في فن الدعاية والإعلان عن الجمعية وأهدافها كي يزداد الدخل.

ولكن النتيجة، وكما نشرتها صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية هي أن الجمعية اكتشفت أنها تعاني من عجز في ميزانيتها، حيث زادت النفقات على الواردات بنسبة خمسة في المائة، والسبب ليس بالطبع زيادة عدد العميان الذين تم توفير كلاب لهم، بل نتيجة زيادة عدد الموظفين. وقد اعتذرت الجمعية عن هذا الخلل ووعدت بتحسين أداء موظفيها، وليس كلابها.

هذا يعيدنا إلى «المساعدات» التي يقدمها أهل الشمال الأغنياء لأهل الجنوب الفقراء، فهذه المساعدات تحتاج إلى «خبراء» يدرسون حاجة الفقراء إلى المساعدات ونوعية المساعدات، وتحتاج إلى «خبراء» يعرفون المصانع التي يمكن أن تقوم بتصنيع هذه المساعدات، وتحتاج ثالثاً إلى «خبراء» يعرفون كيف يقومون بتوزيع هذه المساعدات داخل كل قطر ودولة، والنتيجة أن فواتير هؤلاء الخبراء، وكلهم من الغرب، تخصم من قيمة المساعدات، وعندما يصل هؤلاء الخبراء إلى الدول الفقيرة المحتاجة إلى مساعدات فإنهم ينزلون في أفخم الفنادق، ويصرفون على حساب الحكومة والنتيجة معروفة، كما حدث مع جمعية الكلاب.

أما حكاية بعض الزعماء في العالم الثالث مع شعوبهم فهي أن هؤلاء القادة والزعماء بعد أن يحلبوا الجماهير، يشيرون إلى عجز الخزينة، ويتهمون هذه الشعوب بالتقصير، وبالتالي فهي لاتستحق الخدمات التي يقدمها الزعماء.

وما رأيكم بجمعية خيرية لرعاية هؤلاء الزعماء؟

قات و... خمسة نجوم

كان الأقدمون يقولون إن الحكمة يمانية. ولكن يبدو أن الحفاوة يمانية أيضا، وأن كرم الضيافة الذي تتحدث عنه كتب التراث العربي قد تسللت تقاليده الأولى من فوق جبال اليمن وعبر صحراء تهامة. ففي زيارتي الأخيرة لذلك البلد العربي الشقيق اكتشفت أن الخلافات السياسية يجب أن تكون دائما شيئا عابرا، وأن الجوهر العربي هو ماينبغي علينا جميعا أن نلتقي تحت ظله. ويبدو أن الحفاوة اليمانية تطال كل شيء حتى المجني عليهم كما يقولون. فقد سمعت أن بعض السياح الأجانب ـ ومعظمهم من النساء . اللواتي تم اختطافهن واحتجازهن في اليمن على يد بعض رجال القبائل ثم أفرج عنهن بعد ذلك ـ قد عدن مرة أخرى لزيارة اليمن وللتجوال بحرية في كل الأماكن.

وليس لهذا إلا تفسير واحد هو أن «الحفاوة» بالمختطفات كانت من فئة خمسة نجوم لدرجة أنهن يسعين إلى خطف جديد أكثر رومانسية و...نجوماً.

ولابد أن تأخذك الحفاوة اليمانية أيضا ـ بعد لقاء الأدب والفكر والشعر. إلى مجالس القات. والحقيقة أن كل هذه الأشياء لاتزدهر إلا في ظل هذا المجلس الذي تمتد جلساته كل يوم من الساعة الرابعة حتى التاسعة مساء وهي فترة طويلة جداً من النادر أن يتخلف عنها أحد. وبرغم ذلك فلا تقابل أحدا إلا ويشكو لك من سطوة القات. وهم

يسمونها الشجرة الشيطانية. وهو وصف دقيق إلى حد كبير. فقد استطاعت الانتصار على شجرة البن التي كانت مصدر شهرة اليمن وعزها. وهي الآن في سبيلها للانتصار على أشجار العنب اليمني أيضا. وهكذا يحق علينا المثل «لاطلنا بلح الشام ولا عنب اليمن» فشجرة القات لاتعترف بالفصول لأنها دائمة الخضرة، ولاتريد درجة خصوبة معينة لأنها قادرة على النمو في كل مكان. ولاتتأثر بالآفات، ولا التغيرات الجوية. فكيف كان لشجرة رهيفة كشجرة البن ان تقاومها، أو كيف يمكن لعناقيد العنب الغضة أن تقف في سبيلها. خاصة أنها كالدجاجة التي تبيض ذهباً؟

لقد بلورت هذه الشجرة الشيطانية شكل المجتمع اليمني رغما عنه. وفي كل أرجاء العالم فإن المدينة دائما أغنى من الريف إلا في اليمن. فالفلاح يستولي على راتب الموظف يوميا ويعطيه هذه الأوراق الخضراء. ومن المناظر المألوفة في ساعة انصراف الموظفين أن يتأبط كل واحد منهم حزمة من أغصان القات ولا يستطيع صبراً حتى يصل إلى المنزل أو المجلس، بل يأخذ بتسلية نفسه ومضغ أوراقها طوال الطريق لفتح الشهية.

اليمن هي مهد الشعر والشعراء. ولكن شجرة القات تزيح أيضا أشجار الشعر من أمامك فلا تسمع أنغامها. ويزيد من العجب أن تجد صورتين من كل أناس اليمن: إنسانا واعيا مثقفا يفهم هموم مجتمعه وهموم العالم، ويعرف كيف ينقد نفسه وكيف يفكر في طرق الخلاص للمستقبل، وإنسانا آخر مستسلما لهذه العادة الغريبة، التي تعطيه الكثير من النشاط والحيوية ولكنها تسلبه كل ماله وجهده، وأحياناً قوت أطفاله.

مع ذلك تبقى مساوئ القات أخف من ويلات المخدرات، وهو مايعيدنا إلى بطل نجيب محفوظ الذي سألوه: يا أنيس، أنت دائما مسطول، الا تصحو أبدا؟ فأجاب: بلى، في الصباح فقط. بينما القات يمدد الصحو إلى... مابعد الظهر.

الغزل و.. الوسم

قرات عن كتاب الخبيرة الفنلندية إيلا كاساري التي أكدت أن «الغزل» هو مثل الفيتامين منعش ونافع للصحة ويجلب العافية.وصدقت الخبيرة الفنلندية باعتبارنا نعيش عصر الخبراء، فكل نشاط من أنشطة الحياة صار يحتاج إلى جيوش من الخبراء لاكتشافه وفهمه، وبما أن معظمنا ليس خبيراً في «الغزل» فقد كنا نغازل بخجل، بينما بعد ما قالته الخبيرة صار باستطاعة الواحد أن يغازل حتى أمام زوجته، تماما كما يتناول حبة الفيتامين، أو يذهب إلى الصيدلية لشراء دواء للرشح.

مع ذلك فإن ثلاثة أرباع نساء الأرض من المتزوجات لم يصدقن الخبيرة الفنلندية لأنها لم تقل إن الغزل ينبغي أن يقتصر على الزوجات فقط، بل تركت جميع أبواب الغزل مفتوحة على مصاريعها أمام الأزواج.. للحفاظ على رشاقتهم النفسية وعافيتهم الجسدية.

هؤلاء الزوجات يصدقن الخبيرة الهولندية، وليس الفنلندية التي كانت أول من كشف أن الموسيقى تجعل البقرة الحلوب تعطي حليبا أكثر.. وقامت بعشرات التجارب أثبتت خلالها صحة نظريتها، ثم تحولت النظرية إلى صناعة ثقيلة تقوم على تزويد مزارع البقر بأجهزة تبث الموسيقى، فترتاح البقرة نفسيًا وتطلق العنان لأثدائها كي تعطي أكبر قدر ممكن من الحليب، وقد سمعت أخيرا من صديق هولندي أن هناك شركة تعمل حالياً على تطوير هذه الصناعة، بحيث يتم تزويد كل بقرة

بما نسميه «هدفون» يثبت على الأذنين فتكون الاستجابة أكثر سرعة، كما أن الخبراء قد اكتشفوا أن البقر الهولندي خاصة متنوع الأمزجة، وليس مثل بعض شعوب العالم الثالث التي تهب على أقدامها ما إن تسمع اسم القائد الملهم، وبالتالي فقد قرر هؤلاء الخبراء التعاون مع الشركة على تطوير موسيقى خاصة بمزاج كل بقرة، بانتظار أن يكتشف أحدهم «النشيد الوطني» الذي يستجيب له جميع بقر الأرض(!) ولا أعرف كيف تصدق النساء أن الموسيقى يمكن أن تؤثر في بقرة حلوب، بينما يرفضن تصديق أن الغزل يمكن أن يؤثر في زوج «حلوب» لا يبقين في جيبه ديناراً واحداً وقبل أن ينتصف الشهر؟ أعتقد أن الإجابة تحتاج إلى خبير أيضاً، ولكن ربما من المفيد أن نطرح السؤال بطريقة مختلفة، فالخبيرة الفنلندية قالت إن الغزل نافع للطرفين، المرسل والمتلقي، يعني المدير والسكرتيرة مثلاً، فلماذا جاء الاحتجاج من النساء مع أن العافية سوف تشملهن؟

ربما يقول الخبراء إن العالم عموماً يحكمه الرجل، وإن الرجل هو غالباً من يبدأ بالمغازلة، وإنه بالتالي سوف يتحكم وحده بعملية «الأمن الغزلي» على وزن الأمن الغذائي والأمن القومي، ومن هنا فإنه سوف يكون المستفيد الأول من هذه النظرية.

وقد سألت سيدة متزوجة إذا كانت تهتم بصحة زوجها، فأجابت: بالطبع، إنني أتعب في طبخ وجبات تتوافر فيها كل أنواع الفيتامينات، كما أنه عندما يصاب بتصلب في رقبته أو في عموده الفقري فإنني أنا من يقوم بتدليكه.. أما إذا أصابته نزلة برد أو حمى فأنا أيضا من يسهر على توفير الكمادات وتغييرها طوال الليل.

وسألتها: وإذا قلت لك إن هذه المهمات الشاقة التي تقومين بها يمكن

ان تتوافر كلها إذا ما سمحت لزوجك بأن «يغازل» أخرى...ولم تدعني السيدة أكمل سؤالي، إذ قالت بحزم: ألم تسمع بالوسم؟ كنا نحمل مرضانا إلى الطبيب العربي، وكان يحمي الحديد ويقوم بوسم المصاب، سواء بالحمى أو بتصلب الرقبة والعمود الفقري.. أعتقد أن الوسم أشد فعالية من الغزل.. وربما نعود إليه للحفاظ على عافية.. أزواجنا.

... ونظرت حولي باحثاً عن مخرج!.

الجريمة لاتفيد

روبرتو كالفي واحد من أبرز رجال المصارف في روما. اختفى من العاصمة الإيطالية ليظهر مشنوقاً بحبل تحت أحد جسور لندن.

المحققون قالوا: إن كالفي انتحر. وأقفلوا التحقيق، ولكنهم قبل أسابيع قرروا إعادة نبش الجثة، والكشف عليها لمعرفة الإجابة عن السؤال: نحروه أم انتحر؟

الحادثة وقعت عام ١٩٨٢، وربط بعضهم في ذلك الوقت انتحاره أو نحره بمؤامرة كان الفاتيكان أحد أبطالها، حيث اختفت عدة ملايين من الدولارات من موازنته بطريقة غامضة.

مايلفت في إعادة نبش الجثة ليس فتح التحقيق مجدداً لأن شهوداً جدداً كشفوا عن أسرار كانت خافية من تلك المؤامرة، بل لأن التقنيات العصرية في الكشف عن الجرائم تطورت كثيراً في عقدنا الأخير، وباتت تعمل بمفعول رجعي إذ سوف تتمكن المختبرات الجنائية من معرفة كيف مات روبرتو كالفي قبل ١٦ عاماً، وهل قتل أم انتحر، وفي حال تبين أن هناك جريمة فإن المختبر سوف يبحث في بقايا المرحوم كالفي عن أدلة تكشف عن هوية القاتل.

بالطبع كلنا قرأ عن ذلك المختبر الجنائي الذي زعم أن نابليون بونابرت مات مسموماً، بعد أن قام المختبر بفحص خصلة شعر قيل إنها تعود لنابليون، كما قرأنا كذلك عن جريمة اغتيال الفرعون الصغير توت

عنخ آمون التي كشف عنها أحد المختبرات إثر الكشف عن مومياته بعد آلاف السنين.

وقبل قراءة الخبر عن روبرتو كالفي كنت أعتقد أن هذه الاكتشافات المتأخرة هي أقرب إلى السوالف، يمكنك أن تصدقها أو ترفضها ولكن لايمكنك بالتأكيد أن تتعامل معها باعتبارها الحقيقة كلها، حيث يقوم المختبر بدور شاهد العيان لتأكيد الجريمة.

ولكن مع كالفي القضية بدأت تختلف، فالمختبر يزعم، والشرطة تصدق، أن النتائج سوف تكون مؤكدة، وأن نسبة الخطأ فيها لن تزيد على واحد في المائة ألف، يعني شبه معدومة، وبالتالي فإذا وقعت جريمة، وإذا تم العثور على المجرم، فإن هذا المجرم سوف يدان ويلقى جزاءه حتماً، ولو بعد ١٦ عاماً.

ويخيل لي أن «أرشيف» الحوادث سوف ينفتح في المرحلة المقبلة على مصراعيه، وسوف يبدأ نبش القبور بالجملة، والمختبر سوف يكون شاهد عيان وبمفعول رجعي، وعندئذ فإن عبارات من نوع «الجريمة الكاملة» سوف تختفي من القاموس، لتأخذ مكانها عبارة «الجريمة لاتفيد»، ولانحتاج إلى خيال واسع لنرى ماسوف يحدث إذا كان المرحوم كالفي قد قتل، وأن ثروته يتنعم بها القاتل.

وإذا بقي هذا الباب مفتوحاً فالله وحده يعلم كم ثروة سوف تصادر لأن وراءها جريمة.

أفضل مرشح للأوسكار

أيا كانت نتائج مهرجان الأوسكار التي اقيمت هذا الشهر فإنني أعتقد أن المحكمين قد جانبهم الصواب في اختيار المرشحين لكل الجوائز. فقد تجاهلوا وجود نجوم كان يجب أن يعطوها المراكز الأولى في فروع التمثيل وكتابة السيناريو والإخراج. وإنني أرشح لجائزة افضل ممثل بكل جدارة الرئيس العراقي صدام حسين. فلا أعتقد أنه قد ظهر على شاشة الحياة ممثل مثله يستطيع أن يقدم كل هذه المشاعر المتناقضة ويظهر غير ما يبطن. ولا يوجد أحد مثل صدام حسين تلقى كل هذه الضربات والهزائم وخرج فرحاً سعيداً ليعلن للعالم أنه انتصر في المعارك كلها. ولم يكتف بذلك بل جمع كل قواده وأركان حزبه ليقدم لهم الأوسمة والنياشين مهنئا إياهم على الانتصارات التي حققوها. ولا يوجد أحد مثله وقف جامد الوجه أمام عدسات التصوير، هل يتحدث عن كل شعارات القومية التي لم يؤمن بها، والتضامن العربي الذي ضربه في الصميم، والأخوة التي كان أول من خانها؟

أما بالنسبة لجائزة أحسن سيناريو فإنني أرشح لها أيضا الكاتب الفنان صدام حسين، فلا أحد صنع كل هذه المتناقضات الدرامية كما فعل هو وقد استخدم الخدع السينمائية أفضل استخدام عندما ادعى أنه سوف يدمر إسرائيل ثم سار بجيوشه ليدمر الكويت. وعندما وقع المعاهدات مع إيران ثم اكتشف أنها مجحفة وحارب ثماني سنوات من

أجل إسقاطها ثم عاد مرة أخرى ليعترف بها. وهو الذي تعود على الرفض ثم الرفض ثم الإصرار على الرفض ثم القبول بكل شيء في اللحظة الأخيرة وهو تصعيد درامي لا يقدر عليه إلا المحترفون. وهو الذي يجيد كتابة المشاهد المؤثرة حول جوع الأطفال وموتهم بينما أصابعه تلتف حول رقابهم. وهو الذي يحدد بدقة الأدوار لكل الذين يحيطون به من مسئولين ووزراء فلا ندري بالضبط إن كانوا أشخاصاً حية أم مجرد دمى تحركها خيوط من فوق المسرح؟!

أما بالنسبة لجائزة أحسن إخراج فمن أجدر بها من صدام حسين؟! وهل هناك أحد استطاع إخراج كل هذا العدد من الأحياء إلى عالم الموتى؟! هل يمكن أن نتصور ذلك الإخراج الكابوسي الذي صاحب صعوده إلى الحكم وتلك المحاكمات الهزلية التي حاكم فيها كل رفاقه وأعدمهم على الفور؟! وكذلك الخروج الأعظم الذي جعل حوالي ثلاثة ملايين عراقي مشرداً في كل بقاع الأرض بلا مأوى، إضافة إلى ذلك أنه أخرج إلى العالم أسوأ صورة يمكن أن يقدمها حاكم عربي عن شعبه وعن أمته؟! وإذا كان جابريل غارسيا ماركيز قد كتب رواية «خريف البطريرك» ينتقد فيها كل الحكام الدكتاتوريين الذين شهدتهم أمريكا اللاتينية فإنه يقف عاجزاً أمام ظاهرة صدام حسين الذي جمع من كل هذه الصفات أسوأها وأضاف إليها الكثير من إبداعه الخاص.

أليست هذه المؤهلات كافية لفوز صدام بكل هذه الجوائز؟ إنه بذلك يتحدى الجوائز التي حصل عليها فيلم «تيتانيك» الشهير بل إن تيتانيك قد غرقت بكل ما عليها ولكن صدام حسين أغرق الجميع ومازال باقياً. أقول مازال باقيا وليس دائما لأن الدوام لله سبحانه وتعالى.

موعد في سفينة نوح

أشفقت على شاعرنا العربي زهير بن أبي سلمى صاحب البيت الشهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

بل وأشفقت على نفسي أيضا وأنا أقرأ خبرًا علميًا يقول: إن العلماء في ولاية أركنساس الأمريكية سوف يتوصلون في مدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات إلى صياغة جينات البقاء في الجسد البشري بحيث يكون الإنسان قادرًا «على مزاولة أعماله كالمعتاد وهو في التسعين من عمره»، وضعت هذه العبارة الأخيرة بين قوسين كما وردت في التقرير العلمي الذي نقلته صحيفة صانداي تايمز البريطانية في تقرير لمراسلها العلمي في أمريكا.

أشفقت على صاحب المعلقة التي حفظناها عن ظهر قلب في المدارس، وكنت أتعجب دائمًا من اسمه الذي جمع بين الابن والأب لينتهي بالأم «سلمى»، من دون أن أجرؤ على سؤال الأستاذ عن تفسير لهذا الجمع النادر حتى الآن، إذ إن قلة من الناس تقبل أن تكنّى باسم البنت، كأن ينادى «يا أبو فلانة» وكأن الكنية تنقيص من رجولته، بينما لا يمانع كثيرون من «الثوريين» العرب في أن يحملوا أسماء من نوع «أبو الجماجم» أي أن ينسبوا إلى الأموات خير من نسبتهم إلى البنات.

ونعود من هذا الاستطراد وهو في محله مادمنا نتحدث عن شاعر، فأقول أشفقت على زهير بن أبي سلمى لأنه سئم الحياة بعد أن عاش ثمانين عامًا فقط لاغير، ولا أدري أية معلقة يمكن أن يقذفنا بها لو أخبره أحدهم أن عليه لا أن يعيش فقط حتى الثمانين، بل أن يعمل وهو في التسعين أيضًا، ولا أعرف حتى الآن ماذا كان يعمل ابن أبي سلمى في حياته، وهل كانت مهنته أن «يقرض» الشعر فحسب، ولكن حتى في هذه الحالة فإن «القرض» يحتاج إلى أسنان من النادر أن تجد حتى بقاياها لدى ابن التسعين.

وأشفقت على نفسي لعل العبارة غير مناسبة، إذ إن المثقف يقول: وشعرت بالشفقة الذاتية فهي أصعب على الفهم. أشفقت على نفسي ليس خوفًا من «لا أبا لك يسأم» فأنا أخوض معارك يومية لا تنتهي دفاعًا عن حقي في دقيقة سأم، وهو ما يجب أن تلحظه وثيقة حقوق الإنسان، ولكن ظروف العمل لا تمنحني هذا الحق، خاصة مع وجود الهاتف النقال والبيجر، وابن الجيران الذي لا يحلو له أن يلعب الكرة مع رفاقه إلا تحت نافذتي وفي ساعة القيلولة، أقول أشفقت على نفسي وأنا لم أقطع نصف القرن الأول من عمري، شهدت أحداثًا في الكويت أعادتني إلى عصر الحجاج بن يوسف الثقفي، وأخشى مع تسارع التطورات، أن يعيدني نصف القرن المقبل إلى عصر سيدنا نوح، فأخسر المستقبل من دون أن أكسب الماضي. فأنا حتى الآن لا أعرف السباحة، ومن المشكوك فيه أن أجد وأنا في التسعين رفيقة إلى سفينة نوح التي لا تقبل إلا «زوجين».

ولعلني أحتاج إلى حجز موعد منذ الآن.

الفهرس

كتابة باسمة ٥
موعد فى سفينة نوح ٩
الصحافة والمرآة ١٠
فى العلاقة بين الرأس والقدمين ١٢
ليبق الفرح دائما ١٥
الحاخام والتيس (!) ١٧
تصنيع العباقرة ١٩
وما زال الحب أعمى ٢١
النائب والناخب و.. «الفيلتر» ٢٣
أمواتهم وأمواتنا ٢٦
الحقيقة المرة و.. الكذبة الحلوة ٢٩
كوكب العشق ٣٢
«رفيعة هانم» تشغل أمريكا ٣٤
ضحايا و.. أبطال ٣٦
عن «النكتة» ٣٨
حاتم طئ وحصانه و.. أحفاده ٤٠
الجلد بين القفا و.. الرأس ٤٢
لا أريد أن أكون مليونيرا ٤٤
البيجوم والشيخة وما بينها.. .... ٤٦
لعبة الحياة ٤٨
فى وداع القرن العشرين ٥٠

عـــالم ... بالمقلوب ٥٢
فى الطول والعـرض ٥٤
عن الموز والدجاج والوطن ٥٦
قـنـاع حـى ٥٨
سلاح الجنس والوجبات السريعة ٦٠
يا منعم... ينعم عليك وعلينا ٦٢
الحب أعـمـى فـعـلا ٦٥
كأنك تلحس .. المبـرد ٦٧
كـــلام فى الرقص ٦٩
القتل للقتل أم للأكل؟ ٧١
عـصـر الصـورة ٧٣
تصوُت او لا تصوُت؟ ٧٥
شـهـر .. عـسـل ٧٧
عنف وعنفوان ٧٩
صـفـة البـابا ٨٢
جـسـر جـوي ٨٤
غـزو من الفـضـاء.. أم من الأرض؟ ٨٦
القردة تعترض! ٨٩
كله عند العـرب.. زواج! ٩١
عنصـرية كرة القدم ٩٣
غادة.. وأحـلام البنات ٩٦
«الخلط الجنسى» ٩٩
ثلاث فى مـقـابل واحـد ١٠١
البعض لا يفضلونها شقراء ١٠٣
والبعض .. لا يفضلون المحامى ١٠٥
البحث عن شركة تأمين ١٠٧

تجارة نفايات ١٠٩
تصغير القلب ١١١
وراء كل عظيم ١١٣
العلاج .. بالوهم ١١٥
أربع نسخ من زوجتك ١١٧
حسنة لله يا محسنين! ١٢٠
وزراء مفضوحون.. وآخرون معصومون ١٢٢
عيادات لتوليد النقود ١٢٥
مطلوب طرزان أو قرود عسكرية.. للتبنى! ١٢٨
دون حساسية ١٣١
سيد النور.. أم الظلام؟ ١٣٤
بريد القمامة؟ ١٣٧
أبريل وحماقاته ١٤٠
إدمان «التيتانيك» ١٤٢
نهاية العالم ١٤٥
عام بلا طعام (!) ١٤٨
زهرة الشباب الزرقاء! ١٥١
مع فياجرا أو من دونها ١٥٣
وداعا يا عم حاكم ١٥٦
كلاب بين الشمال والجنوب ١٥٨
قات و... خمسة نجوم ١٦٠
الغزل و.. الوسم ١٦٣
الجريمة لاتفيد ١٦٦
أفضل مرشح للأوسكار ١٦٨
موعد فى سفينة نوح ١٧٠

رقم الإيداع ١٥٩٨٤/ ٩٩
الترقيم الدولى 5 - 0592 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت.٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف . ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

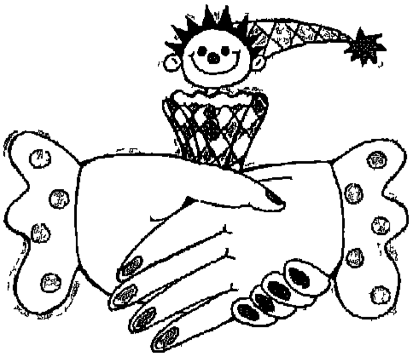

إلى أن نلتقى..

◆ فراشة ملونة تحط برفق وأحياناً نحلة لاسعة تغرس ذنبها فى كل مظاهر حياتنا المعاصرة تطوف وسط عالم من المتناقضات المثيرة للسخرية تأملات ذكية فى واقع يتسم باللامعقولية ويخشى دهشة الاكتشاف. هذه هى خطرات أنور الياسين فى ذلك الكتاب. عين طفل وقلب مفعم بالتجارب. يسلط بقعاً صغيرة من الضوء تبدو متفرقة للوهلة الأولى، ولكنها تجمع فى بؤرتها صورة متكاملة لعالم متشابك

◆ إنه كتاب تحتاج لقراءته لأنه يساعدك على رؤية كل شىء من جديد، ويملأ نفسك بالدهشة المفقودة، ويدفع إلى شفتيك ورغماً عنك بابتسامة حزينة.

محمد أنور الياسين

◆ من مواليد 1955م بالكويت

◆ تخرج فى كلية الآداب قسم الاجتماع بجامعة الكويت. وعمل معيداً بالكلية نفسها لفترة ستة أعوام.

◆ جذبته أضواء الصحافة فى العمل الأكاديمى فعمل سكرتير تحرير لمجلة العربى ثم مديراً عاماً لجريدة صوت الكويت ومجلة New Arabia اللتين صدرتا فى لندن عام 1991.

◆ يعمل الآن مديراً لتحرير مجلة العربى التى تصدرها وزارة الإعلام بالكويت وبقية مطبوعاتها.

الغلاف للفنان حلمى التونى

دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص ب: ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨٠٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)